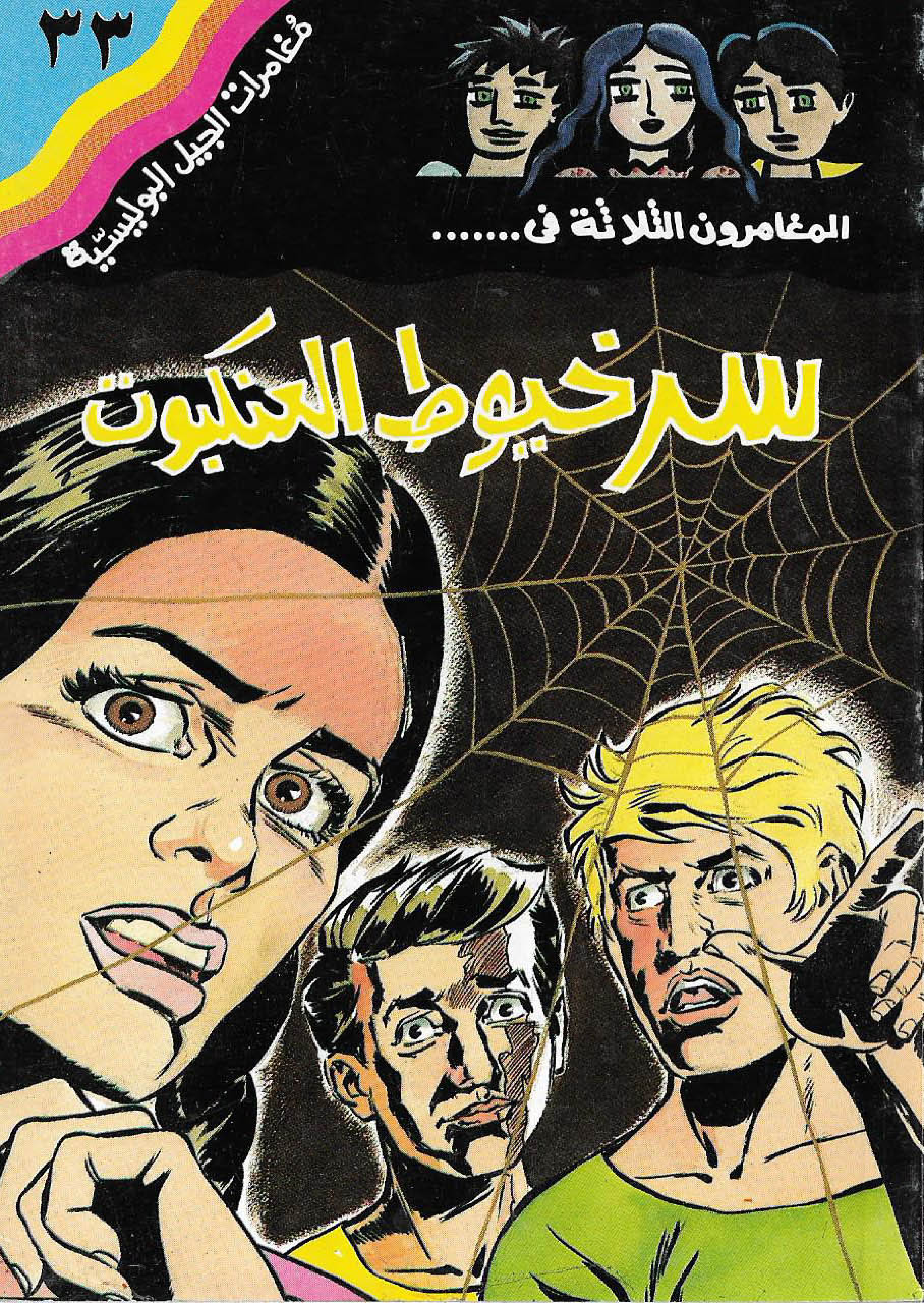
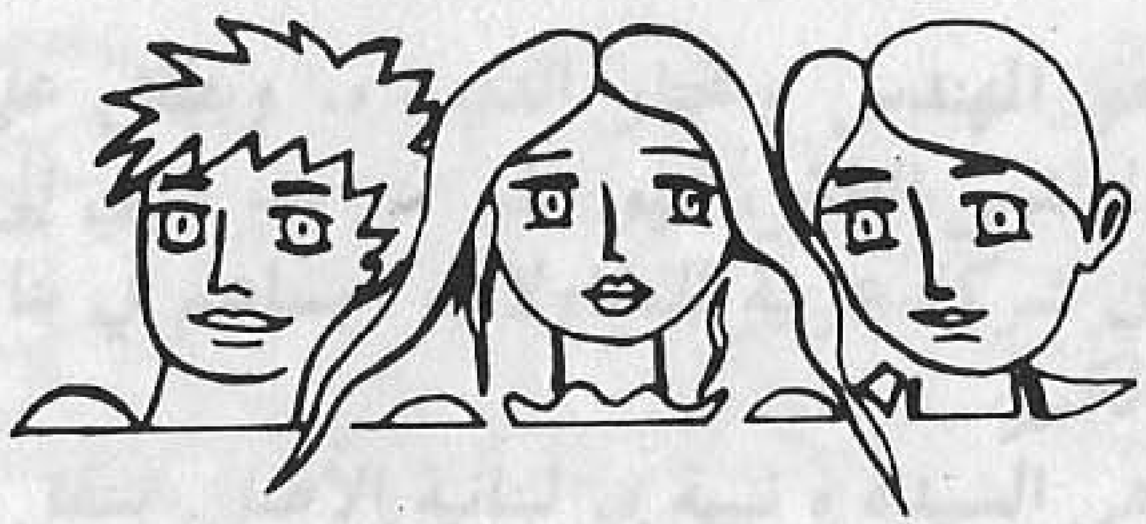

٣٣
مغامرات الجيل البوليسية
المغامرون الثلاثة فى......
سر خيوط العنكبوت

مُغامرات الجيل البوليسيّة



المغامرون الثلاثة في.......

سر خيوط العنكبوت

٣٣

تأليف : رجاء عبد الله

دار الجيل
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٩٨٩

DAR AL JIL - EDITEUR DISTRIBUTEUR
دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

ص.ب ٨٧٣٧ - برقيا: دارجيلاب - تلكس: ٤٢٦٤١ دار الجيل

من هم المغامرون الثلاثة؟

انهم « جاسر » و « ياسر » وشقيقتهما « هند »
وذلك حسب ترتيب الأعمار، والسنة الدراسية في المرحلة الثانوية.

الأب: هو المهندس « مختار الديب »، ويطلق على نفسه لقب المهندس الطائر، فهو يطير من بلد عربي إلى آخر.. يعمل في شركة عربية للمقاولات ويساهم في بناء العالم العربي الكبير..

الأم: هي السيدة « نبيهة »، لبنانية الأصل. تنتقل مع زوجها في كل مكان، بعد أن وصل الأبناء الثلاثة.. إلى أعتاب الشباب وسن المسؤولية..

ويبقى من الأسرة.. واحد من أهم أفرادها.. هو العم أو المقدم « عماد الديب »، الضابط بالشرطة الدولية « الإنتربول ».. وهو الرجل الصامت.. الهادئ دائماً.. وكأنما هو « أبو الهول » كما يطلق عليه زملاؤه.. وهو الذي يقيم مع المغامرين الثلاثة في منزلهم الأنيق البسيط، والذي تحيط به حديقة واسعة.. في مدينة المهندسين.. هذا الحي الهادئ بمدينة القاهرة..

وتلتقي الأسرة كلها عادة في صيف كل عام.. في مصر، أو في أي بلد عربي يعمل فيه الوالدان..

ومن هذا الخليط العربي الصميم.. الأب المصري والأم اللبنانية جاء هذا السحر الذي يتمتع به المغامرون الثلاثة.. العيون اللبنانية الخضراء، والبشرة المصرية السمراء أضفت على المغامرين جمالاً وجاذبية توجت ما يمتازون به من ذكاء فوق العادة، مع قوة ملاحظة وسرعة تصرف، كانت وراء النجاح تلو النجاح في كل مغامرة يتعرضون لها..

وهذه واحدة من هذه المغامرات.. الغريبة الغامضة.

جَاسِر ياسِر



هند ... وعَجيبة





بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

خطأ غير مقصود :

بدأ اليوم بداية هادئة.. ولكنه انتهى نهاية مثيرة، كانت الفيللا الأنيقة.. التي تحيط بها حديقة صغيرة، في مدينة المهندسين.. هذا الحي الهادئ بمدينة القاهرة، تعيش يوماً من الأيام العادية.. هذه الفيللا التي يقيم فيها المغامرون الثلاثة... « جاسر » و « ياسر »، و « هند ».. ومعهم عمهم المقدم « عماد »، ضابط الشرطة الدولية الخطير.. وترعاهم « دادة عواطف » أثناء غياب أبويهم في عملهما بالخارج.

ولم يكن غريباً أن يسود الهدوء الفيللا في ذلك اليوم، فقد كان أول أيام الاجازة الصيفية الطويلة.. ولذلك سمحت لهم « دادة عواطف » بالتأخر في النوم إلى ما بعد الساعة الثامنة.

ولكن رنين جرس الباب كان ايذاناً بنهاية الهدوء.. وبدء النشاط.. كان ساعي البريد هو الذي يرن الجرس باصرار.. مرة.. واثنتين

وثلاثة، فقد كان صديقاً للمغامرين الثلاثة.. وكان يحمل لهم رسالة من أبيهم.. وهو يعرف تماماً، مبلغ تلهفهم على هذه الرسالة.

استلمت « دادة عواطف » الخطاب، وشكرته بابتسامة واسعة فقد كان الخطاب مبرراً لايقاظ المغامرين من نومهم العميق.. واستيقظوا على صوتها الحنون.. وأعلنت عليهم أن لديها مفاجأة لن تخبرهم بها حتى تجدهم على مائدة الافطار.

وأسرعوا يلبون نداءها.. وكانوا يتوقعون أن تكون رسالة من أبيهم تخطط لهم مشروعاً لقضاء الاجازة.. وأخذ كل منهم يتصور أمنياته وأحلامه في اجازة مليئة بالحركة والنشاط والمغامرات.

وعندما انتهوا من الافطار.. قدمت لهم « دادة عواطف » الرسالة وأسرعوا يلتهمون سطورها.. وقد كادت دموع الشوق والحنين الى أبويهم أن تسيل من عيونهم.

وارتفعت صيحات الفرحة.. وكانت الرسالة باختصار، تخبرهم بأن أبويهم سوف يغادران الكويت اليوم إلى باريس.. ومن هناك سوف يرسلان إليهم بالتذاكر ومواعيد السفر للحاق بهما.. ولكنهما سيرسلان إليهم اليوم مع أحد الأصدقاء، بعض الحقائب التي تحمل أمتعة خاصة، ومعها بعض الهدايا لهم.. وأن عليهم أن يقابلوا المهندس « محسن زكي » مساعد أبيهم في مطار القاهرة في الساعة السابعة لاستلام الحقائب!

وبدأوا يتبادلون التهاني والأمنيات.. اجازة في باريس، ومع أبويهم ما أجملها من اجازة قد لا تتكرر في العمر أكثر من مرة..

وقضوا اليوم كله في الحديث عن باريس.. برج ايفل وحدائقه الواسعة، قوس النصر، وشارع الشانزليزيه.. متحف اللوفر والحي اللاتيني.. كنيسة نوتردام والساكركير.. وغيرها من الأماكن السياحية الرائعة، حتى نبهتهم « هند » إلى أن موعد وصول المهندس « محسن زكي » قد اقترب، وأن عليهم الاستعداد للذهاب إلى مطار القاهرة الدولي.

في الطريق، لم ينقطع حديثهم.. حتى بعد وصول الطائرة التي تقل المهندس المنتظر، ومعه هداياهم التي طال شوقهم إليها، لم يتوقفوا عن الحديث عن باريس.. وسحر مدينة النور..

أخيراً ظهر المهندس « محسن »، وكانوا يعرفونه جيداً، تبادلوا معه السلام والترحيب، والسؤال عن أبويهم، ثم استلموا منه حقائبهم، كانت ثلاث حقائب كبيرة.. ثم قدم لهم حقيبة صغيرة كانت في يده.. حقيبة شديدة الأناقة.. من نوع حقائب رجال الأعمال التي يضعون فيها أوراقهم.. وقال : في هذه الحقيقة كشف بالهدايا الموجودة داخل بقية الحقائب! ونصيب كل منكم فيها بالتفصيل!

أمسكها « جاسر » باعجاب وقال : ولكنها مغلقة، أعتقد أنها تفتح بطريقة سرية.. كيف نفتحها؟

صاح محسن : آه.. من حسن الحظ أنك اكتشفت ذلك، حقيقة انها آخر طراز من حقائب رجال الأعمال، وأعتقد أنها هدية للمقدم عماد، ولكن معي طريقة فتحها.. أعطاها لي والدكم ونحن على الطائرة!

ووضع يده في جيبه، وأخرج كتيباً صغيراً.. قدمه إلى « جاسر ».. وتحركوا إلى خارج المطار.. واستقلوا إحدى سيارات الأجرة بعد أن ودعوا المهندس « محسن زكي »، واتجهوا الى البيت، وكانوا في أشد حالات اللهفة لمعرفة الهدايا الموجودة في الحقائب، حتى أن « جاسر » أخذ يقرأ طريقة فتح الحقيبة طوال الطريق، حتى يستوعب كل خطوة فيها قبل وصولهم الى البيت..

وأسرع كل منهم يحمل حقيبة، واندفعوا إلى حجرة المعيشة.. وبدأوا يلتفون حول الهدايا.

أمسك « جاسر » بالحقيبة الصغيرة.. وضعها بكل عناية على المائدة الصغيرة وقال : إن فتحها يحتاج إلى خطوات عديدة، ودقة متناهية.. سوف نبدأها خطوة بعد الأخرى.

قال ياسر : إن صبري قد نفد.. سوف أبحث عن بعض الطعام حتى تنجحا في فتحها!

قالت هند : طبعاً.. من الصعب أن يتحرك عقلك، ما دامت معدتك فارغة.. اذهب وأملأها.. فهي أهم..

لم يعلق « ياسر »، فقد كان جائعاً حقيقة.. بينما انهمك « جاسر » تساعده « هند » في محاولة فتح الحقيبة الصغيرة.

جاسر: غريبة! إنها تبدو وكأنها خزنة صغيرة!

ضحكت « هند » وقالت : ربما كانت تستعمل كالخزنة فعلاً، هذا الكتيب يقول أن كل واحدة من هذه الحقائب لا يتكرر انتاجها، وهناك اختلاف بين كل حقيبة وأخرى من هذا النوع!

جاسر: ربما كان هذا هو سبب فشلنا في فتحها.. فقد قمت بالخطوات المذكورة في كتيب الشرح خطوة بعد الأخرى تماماً كما ذكر.. وقد استجابت في كل الخطوات حتى الخطوة الأخيرة، وهي الخاصة بالأرقام.. الكتيب يقول أضغط على رقم ٣.. ولكنها لا تستجيب.

هند : ربما أخطأ البائع، فقدم لأبي كتيباً خاصاً بحقيبة أخرى.. تعال نجرب بقية الأرقام..

وهكذا بدأوا في الضغط عليها رقماً بعد الآخر.. ولكنها ظلت صامدة تماماً.. وجاء « ياسر » وهو يأكل سندوتشاً كبيراً، وابتلع قطعة منه ثم قال : ابتعدا عن الحقيبة، ربما كانت اصابعكما رقيقة، أما أنا فسوف تريان ما أفعله!

ومد يده إلى الحقيبة، وهند تصرخ : احترس، لا داعي لاستعمال القوة! إنها نوع دقيق من الحقائب.

ولكن.. ولدهشتهما الكبيرة، اذا بالحقيبة تستجيب لضغط « ياسر » وليسمعوا صوت تكة خفيفة، ثم ارتفع غطاؤها على الفور! صاحا في دهشة : ماذا فعلت؟!

قال ياسر وهو أشد دهشة منهما : إنني لم أكد ألمسها.

ضحك جاسر وقال : لقد ضغط على الرقم الوحيد الذي لم نلمسه، على رقم صفر!

صاحت هند : هذا عجيب، ربما كان رقم الصفر هذا، هو الذي يفتح كل الحقائب إذا تعطّلت بقية الأرقام!

ولم يرد شقيقاها، فقد امتدت أيديهما لفتح الحقيبة للوصول إلى كشف توزيع الهدايا المنتظر.. وإذا بهما، وللمرة الثانية، يصرخان من الدهشة.. فلم يكن بالحقيبة أي ورقة وإنما كانت مليئة بجوازات السفر.

ضحكت هند وقالت : يا للأسف.. من الواضح أنها ليست حقيبتنا!

لم يردا.. وانما امتدت الأيدي تفحص جوازات السفر..

قال جاسر بعد قليل : غريبة، كلها جوازات سفر لأطفال صغار..



قال ياسر : تصوروا! إن شكلهم في غاية الجمال!

قالت هند بغضب : ليس هذا هو المهم.. المهم الآن أين حقيبتنا؟ وماذا سيفعل أصحاب هذه الجوازات.. ربما كانوا في رحلة مدرسية.. وسوف يحتاجونها!

جاسر: ليس أمامنا الا الاتصال بالمهندس « محسن »، ربما كان يعرف صاحب هذه الحقيبة!

هند : ولكن « محسن » قد سافر الى الاسكندرية حيث يقيم مع أسرته، علينا أن ننتظر إلى أن يصل.. وسيكون ذلك بعد منتصف الليل على الأقل!.

جاسر: إن هذا هو الحل الوحيد.. ولكن لا أتصور أن هذه الجوازات خاصة برحلة مدرسية.. وإلا لكان صاحبها قد أعلن عن فقدها بالميكريفون في المطار.

ياسر : فعلاً.. خاصة وأننا قد قضينا مدة طويلة، ننتظر المهندس « محسن »، ثم وقفنا معه أيضاً وقتاً طويلاً!

هند : ليس أمامنا سوى انتظار وصول « محسن » إلى بيته في الاسكندرية.

وجلسوا صامتين.. وهم ينظرون إلى الساعة لحظة بعد أخرى، فقد كانوا يأملون في التمتع بالهدايا المنتظرة..

وامتدت يد « هند » تتأمل صور الأطفال في جوازات السفر، ثم اعتدلت في جلستها، وظهر عليها الاهتمام الشديد.. ولم يلحظ أحد من شقيقيها ذلك، فقد كانا يشاهدان برنامجاً تليفزيونياً ضاحكاً.. ولكن « هند » قطعت عليهما اندماجهما وضحكاتهما.. وقالت : أنظروا.. هناك أمر غريب في هذه الجوازات..

التفت اليها « جاسر ».. بينما بقي « ياسر » مشغولاً بالتليفزيون..

قالت : إن عددها ٢٤ جوازاً، ولكن نصف أصحابها من الأجانب، وبالتحديد من آسيا.. من سيريلانكا، والفيليبين، والباقي من مصر.. ولا يمكن أن يكونوا في رحلة مدرسية.

قال جاسر : لماذا؟

هند : لأن الجوازات الآسيوية بها تأشيرة دخول إلى مصر.. بدأت منذ شهر تقريباً.. ثم تأشيرة دخول إلى سويسرا.. والجوازات المصرية ليس بها إلا تأشيرة دخول إلى سويسرا.

جاسر: ربما كانت احدى شركات السياحة، وهي تجمع الأطفال من البلاد المختلفة في رحلة الى سويسرا.

هند : غير معقول.. أنظر الى هذه الجوازات قبل أن نبدأ المناقشة..

أمسك « جاسر » بجوازات السفر، وأخذ يتأملها، واحداً وراء الآخر، ثم ظهر عليه الاهتمام، وبدأ في فحصها مرة أخرى ومرات،



ثم قال : فعلاً! إن بها أشياء غريبة!

هند : طبعاً.. لأن عمر الأطفال يتراوح بين سنة واحدة، وخمس سنوات!

جاسر : وغير معقول أن يسافر الصغار في رحلة سياحية، إلا اذا كانوا في صحبة أهلهم!

قال ياسر مقاطعاً : لا تحاولوا أن تخلقوا لغزاً من لا شيء.. هذه أوهام أو أحلام لتقضوا الاجازة في شيء مثير!

هند : ولكننا سنقضي الاجازة في باريس.. فلماذا نبحث عن لغز يشغلنا؟

ياسر : هذا هو ما تفكران فيه الآن!

جاسر : لا داعي لهذا الجدل.. تعال وانظر.. هل يمكن أن يذهب طفل عمره سنة في رحلة إلى

سويسرا.. إنه طفل من سيريلانكا.. وهذا طفل من مصر.. عمره سنتان.. ولا أظن أن هناك أمًّا مصرية تسمح لنفسها بالافتراق عن طفلها في هذا السن!

هند : إذن.. ماذا نفعل!! هل نقدم الحقيبة الى الشرطة؟!

ياسر : لا.. ليس الآن.. لأن الشرطة سوف تستدعي المهندس « محسن » من الاسكندرية.. وبذلك نقضي على اجازته.. علينا أن ننتظر حتى نتصل به أولاً.. فقد يكون لديه فكرة عن هذه الحقيبة!

هند : ثم ان الشرطة عندنا هنا في منزلنا، أليست هذه الجوازات تحمل تأشيرات أجنبية.. اذن هي خاصة بالشرطة الدولية، وسوف نقدم الحقيبة كاملة إلى عمي « عماد » عند حضوره!

جاسر: فكرة رائعة يا هند.. يا ملكة الأفكار!

وعاد الهدوء.. ولكن كل منهم كان يشعر بأنه الهدوء الذي يسبق العاصفة.. وليس من المعقول أن يتركوا هذه القضية للشرطة بهذه السهولة.. فلم يكن ذلك من طبيعتهم على الاطلاق!

وتبادل « جاسر » و « هند » النظرات.. كانا يشعران بالقلق، وعدم الاطمئنان.. تغلب عليهما الشعور بأن وراء هذه الحقيبة سراً.. سراً خطيراً.. ولكن كيف يمكن التأكد من ذلك.. وماذا يفعلان.. وامتدت الأيدي مرة أخرى إلى الحقيبة..

أمسك كل منهما بمجموعة من الجوازات.. وبغير اتفاق أخذا يفصلان بين جوازات سفر الأطفال المصريين.. وبين جوازات سفر المجموعة الآسيوية..

اثنا عشر طفلاً من مصر..

ومن حسن الحظ.. كما شعرا.. لم يكن هناك طفل من أي بلد عربي آخر.. أما باقي الجوازات فكانت لأطفال من آسيا..

وفي صمت بدآ ينظران إلى صور الأطفال المصريين، ويصنفانهم إلى أقسام.. حسب السن..

ثلاثة في سن السنتين..
أربعة عمرهم ٣ سنوات..
ثلاثة في سن ٤ سنوات..
طفلان عمرهما ٥ سنوات..

قالت هند بهدوء: أنظر الى تاريخ صدور هذه الجوازات.

قال جاسر: كلها تقع في هذا العام.. ابتداء من يناير وحتى شهر يونيو.

هند: وتاريخ صدور تأشيرة الدخول الى سويسرا؟

جاسر: غريبة.. كلها في يوم واحد.. وتاريخ قادم.. في ١٧ يوليو. أي ١٧ من هذا الشهر!



هند: أما الأطفال الأسيويون، فقد خرجوا جميعاً من سيريلانكا إلى القاهرة.. وتواريخ وصولهم أيضاً خلال هذا العام.

جاسر: وتاريخ دخولهم إلى سويسرا؟

هند: نفس تاريخ دخول المصريين الى سويسرا!

وتدخل ياسر قائلاً: وماذا نفهم من ذلك؟

هند: المسألة واضحة كالشمس!

جاسر: ولكنه يحتاج إلى من يوضحها له.

ياسر: ليس هناك ما يدعوني الى أن أرهق عقلي في التفكير في مثل هذه الأمور البسيطة!

هند : حسناً.. نشرحها نحن لك.. لقد دخل الأطفال الأجانب إلى مصر.. خلال هذه السنة.. واستخرج الأطفال المصريون جوازات سفرهم خلال هذا العام أيضاً.. ولكن الاثنين حصلا على تأشيرات دخول الى سويسرا، تبدأ من يوم ١٧ في هذا الشهر.. فهل فهمت الآن!

ياسر : طبعاً.. لقد كان ذلك واضحاً قبل كل هذا الشرح، إن الأطفال هنا في مصر.. لم يبدأوا رحلتهم بعد إلى سويسرا!

تنهدت هند واستلقت في حركة تمثيلية ضاحكة.. وأشارت الى ياسر وقالت : أخيراً.. فهم المغامر ذو العضلات!

قال ياسر بعناد : ما زلت مصراً على أن الأمر ليس فيه أي مغامرة.

هند : ونحن لم نقل غير ذلك حتى الآن!

هب ياسر واقفاً وقال : ولكن لدي شعور غامض بأن وراء هذه الحقيبة مغامرة خطيرة.. وأنا متأكد من أن شعوري لا يخدعني!

هند : أنا أيضاً أشعر بذلك، ولكني أريد أن أستقر على رأي حاسم قبل أن أبدأ في وضع تصور نهائي!

جاسر: ومع ذلك، فهناك بعض الخطوات الاحتياطية التي يمكننا القيام بها!

ورفع « ياسر » عينيه ناظراً الى شقيقه في تساؤل، بينما قالت هند بصراحة : وما هي هذه الخطوات؟!

جاسر: تصوير جوازات السفر مثلاً.. فاذا سلمناها للشرطة كانت لدينا صورة منها!

ياسر : هذه مهمتك.. فلديك آلة تصوير حديثة للمستندات وأعتقد أنك تريد استعمالها!

جاسر: ما رأيك في أن تقوم ببعض العمل بدل هذه الاحاديث التي تحاول أن تثبط همتنا بها!

ياسر : إنني لا أتأخر عن نداء الواجب أبداً!

جاسر: حسناً.. ابحث عن رقم تليفون المهندس « محسن زكي » في دفتر التليفون الخاص بالمهندسين في الاسكندرية، واتصل به.. حتى ننتهي من التصوير الذي تساعدني فيه هند!

ياسر : ولكن الساعة ما زالت العاشرة.. ولا أظن أنه قد وصل إلى الاسكندرية!

هند : من الأفضل أن تتصل بمنزله الآن، وتخبرهم أن يقوم هو بالاتصال بنا عند وصوله، حتى لا نضايقه اذا طلبناه في وقت متأخر من الليل!

ياسر : رائع يا هند.. ما زلت مصراً على أنك ملكة التخطيط في هذا البيت!

هند : هيا الى العمل.. كفاك ثرثرة ومناقشات.. وأحاديث لا جدوى من ورائها!

ياسر : حسناً.. الى العمل.

* * *

انتقل « جاسر » و « هند » الى حجرة المكتب.. وكانت لديهم ماكينة حديثة لطباعة المستندات.. سريعة.. ومن أحدث طراز.. وأخذت « هند » تناول شقيقها الجوازات واحداً وراء الآخر.. وهو يضعه في الجزء الخاص بتصوير مثل هذه المستندات التي تزيد عدد صفحاتها عن صفحة واحدة.. وفي لحظات، ينتهي من تصوير الجواز..

واحد.. وراء الآخر.. وعندما انتهى « جاسر » من مهمته، ووصل الى الجواز الرابع والعشرين.. كان « ياسر » ما زال يتحدث في التليفون.. وخرجا اليه.. ووقفا ينظران إلى وجهه وهو يواصل الحديث قائلاً : هل أنت متأكد.. أرجو أن تسأل مرة أخرى، ربما كنت مخطئاً..

— ....

ولم يسمعا ما كان يقال على الطرف الآخر..



ياسر : حسناً.. اذا اتصل بكم فاخبروه أن يتصل بنا للأهمية.. إنها مسألة هامة جداً..

— ....

ياسر : شكراً.. مع السلامة!

والتفت « ياسر » الى شقيقه.. ثم قال ضاحكاً، وهو يلحظ هذا القلق والترقب على وجهيهما : إذا كان هذا لغزاً، فسوف يكون لغزاً عويصاً.. ومعقداً.. إن مشاكله تتزايد!

— : ماذا حدث!

ياسر : ان « محسن » اتصل من القاهرة بأهله في الاسكندرية، فعرف أنهم سافروا إلى مرسي مطروح.. وأنهم سينتظرونه هناك.. فاتجه إليها مباشرة!

قال جاسر بغيظ : ومن هو الشخص الذي تحدّثت إليه الآن!

ياسر : شقيقه.. وهو الوحيد الذي بقي في الاسكندرية، لأنه لم يستطع الحصول على اجازة من عمله.. وأعتقد أن « محسن » لن يصل الى مرسي مطروح قبل الصباح.. وهذا اذا ما فكر أحد منكما في اللحاق به!

هند : ألم تعرف رقم تليفونه في مرسي مطروح؟!

هزّ رأسه سلباً وقال : ان لهم منزلاً في مرسي مطروح، ولكن ليس به تليفون.. الا أن « محسن » ربما يتصل بشقيقه بعد أن يصل ويستريح..

جاسر: أصبحت المسألة أصعب، لو سلمنا الحقيبة إلى الشرطة، فسوف تحضر « محسن » من مرسي مطروح.. ستكون مشقة هائلة بالنسبة له..

هند : ألم نتفق على أن نقدم الحقيبة الى عمنا المقدم « عماد »؟

جاسر: هذا صحيح.. ولكن من يدري متى يعود من عمله.. ان الساعة الآن قد تجاوزت العاشرة.. وتأخرنا كثيراً على موعد النوم!

هند : إننا في الاجازة.. لا مانع من السهر قليلاً..

وبقي الثلاثة يتبادلون الأحاديث، فترة ليست بالقصيرة.. حتى أوشك الليل أن ينتصف، عندما اندفعت وسطهم « دادة عواطف » وهي تمسح عينيها بعد ان استيقظت من النوم، وتساءلت في قلق : ماذا تفعلون حتى هذه الساعة.. لماذا أنتم ساهرون؟

قالت هند : اطمئني يا دادة.. نحن ننتظر عمي « عماد » فنحن نريده في مسألة هامة.

قالت دادة عواطف وهي مندهشة : ولكن المقدم « عماد » قد سافر منذ الصباح الباكر في مهمة لم يحددها كما هي العادة.. ولن يعود اليوم! بل لا أعرف موعد عودته!

نظروا اليها في ذهول، فاستمرت في كلامها وهي تنظر اليهم غاضبة : كيف لم تعرفوا ذلك.. ولماذا لم تسألوني، قبل أن تظلوا ساهرين؟! إن السهر يضر بصحتكم!

اعتذروا لها في صوت منخفض، فقد شعروا أن الأمور تتأزم، وأنهم قد وقعوا في مشكلة حرجة.. فهم الآن مضطرون إلى تقديم الحقيبة إلى الشرطة.. وفي أسرع وقت ممكن!

قالت دادة عواطف : كيف تستيقظون مبكرين غداً بعد هذا السهر الطويل؟!

سألها ياسر : ولماذا نستيقظ مبكرين؟

دادة عواطف : لأني سوف أسافر الى قريتي في الصعيد، لزيارة عمي وأسرته.. هذه الزيارة التي أجلتها أكثر من مرة حتى تبدأ الاجازة!



نظروا إليها حائرين! ابتسمت وقالت : لا تقلقوا، سوف أودعكم الآن، فإن قطاري يغادر القاهرة في وقت مبكر.. وسأترك لكم مذكرة بكل أعمال المنزل التي يجب أن تقوموا بها أثناء غيابي!

ثم نظرت الى ياسر، وابتسمت وقالت : لا تبتئس، لقد أعددت لكم كمية من الطعام تكفيكم شهراً، وان كنت لن أتأخر أكثر من اسبوع واحد..

ابتسموا في سعادة.. واحتضنتهم واحداً وراء الآخر.. وبدأوا في الصعود الى الدور العلوي حيث تقع حجرات النوم..

عندما ارتفع رنين جرس التليفون.. رنيناً طويلاً متقطعاً.. وهتفت هند : إنه من خارج القاهرة..

واندفع « ياسر » إلى جهاز التليفون ليتلقى المكالمة..

ياسر : آلو.. نعم.. نعم، أهلا يا باشمهندس « محسن ».

— ....

ياسر : ماذا تقول.. نحن أيضاً كنا نطلبك.. هل وصلت إلى مرسي مطروح.

— ....

ياسر : تتحدث من استراحة على الطريق.. حسناً تكلم..

وتغيرت تعبيرات وجه « ياسر ».. تغييراً بعد الآخر، وهو يستمع صامتاً.. ثم قال أخيراً : وما هو شكل هذا الرجل؟

— ....

ياسر : حسناً.. نعم.. إنها معنا، وسوف نكون في انتظاره، شكراً.. واجازة سعيدة..

ووضع آلة التليفون، ونظر إلى شقيقيه وقال وابتسامة واسعة على وجهه : اطمئنوا لقد انتهت المغامرة قبل أن تبدأ!

وصاح به جاسر : ماذا حدث.. تكلم..

ياسر : كان المتحدث هو « الباشمهندس محسن ».. وهو يتحدث إلينا من استراحة في الطريق بين الاسكندرية ومرسي مطروح..

انتظر « ياسر » قليلاً ليثير شوقهم.. ثم قال بعد أن شعر بأن « جاسر » سوف يهاجمه فقال : لقد نسي في غمرة انشغاله بالبحث عن طريقة للوصول إلى مرسي مطروح أن يتصل بنا ليخبرنا أنه بعد أن تركناه بقليل، وكان في انتظار السيارة التي تنقله إلى الاسكندرية، أن تقدم إليه رجل أو بمعنى أصح اندفع إليه وهو يبدو في شدة القلق يسأله عن الحقيبة الصغيرة، ويقول انها قد اختلطت بحقيبته، وكان يمسك بواحدة في يده.. فشرح له « محسن » أن الحقيبة قد أعطاها لنا، فطلب منه العنوان.. ثم اندفع مسرعاً الى الطريق..

هند : وما شكل هذا الرجل؟

ياسر : يقول انه رجل كبير السن.. شيخ يشبه جده، له ذقن بيضاء كبيرة، ويضع نظارة بيضاء على عينيه ويمسك في يده عصا!

جاسر: وهو الآن يعرف أين نسكن؟

ياسر : طبعاً.. لقد عرف العنوان من محسن!



جاسر : حسناً.. الآن لم يبق أمامنا إلا الانتظار، انتظار وصول الرجل لاستلام الحقيبة!

وسوف يفسر لنا حكاية هذه الجوازات.. والآن هيا إلى النوم.

تبادلت « هند » معهما تحية المساء.. وذهبت إلى حجرتها.. بقيت فترة طويلة قبل أن تستغرق في النوم.. كانت أفكارها تذهب بعيداً، وشعرت بحركة في المنزل.. واطمأنت.. عرفت أن « جاسر » أيضاً يفكر مثلها.. وأنه يقوم بعمل ما.. ابتسمت، ثم ذهبت في نوم عميق..

* * *

مفاجأة متوقعة :

استيقظت « هند » من نومها.. كان الضوء يملأ حجرتها برغم الستائر المسدلة على النافذة، فعرفت أنها قد استغرقت طويلاً في النوم، وتذكرت اليوم السابق.. وأخذت تسترجع كل ما مر بهم من أحداث.. وفجأة قفزت من فراشها، عندما تذكرت أن « دادة عواطف » قد سافرت وأن عليها الآن أن تعد طعام الإفطار.

بعد دقائق قليلة، كانت تهبط إلى الدور الأول من المنزل، وقبل أن تتجه إلى المطبخ، نظرت إلى حجرة المكتب، ابتسمت، لم تكن الحقيبة في مكانها، وتأكدت أن « جاسر » كان يفكر مثل تفكيرها.. أسرعت تعد طعام الافطار، وتضعه على المائدة بتنسيق جميل، ثم اندفعت الى حجرة شقيقيها، تفتح النوافذ لتسمح للضوء والهواء بالدخول اليها.. وهي تهتف بهما لتوقظهما من نومهما العميق..

دقائق قليلة وكان المغامرون الثلاثة يلتفون حول المائدة، و « ياسر » يلتهم الطعام التهاماً كعادته.. وقالت « هند » تقطع

الصمت متحدثة إلى جاسر : أعتقد أنك أخفيت الحقيبة قبل أن تذهب إلى النوم؟!

جاسر: طبعاً، لقد قرأت أفكارك.. وكانت مثل تفكيري تماماً.. فأخفيتها في مكان لا تصل إليه يد أبداً..

هند : رائع، لقد فكرت في ذلك فعلاً، ولكنني شعرت بحركتك في البيت فعرفت أنك سبقتني إلى التنفيذ!

قال ياسر ساخراً : حسناً، لن ينقضي وقت طويل على ما أظن حتى يحضر صاحبها لاستلامها، ولاحضار حقيبتنا الحقيقية والتي اشتاق لمعرفة محتوياتها.

سألت هند : هل ننتظر صاحب الحقيبة طوال اليوم، أم نبادر بتقديمها إلى الشرطة!

جاسر: أعتقد أن صاحبها مهتم باستعادتها، سوف ننتظر حتى الساعة الثانية عشرة ظهراً، فاذا لم يحضر، نقوم بزيارة إلى مكتب عمي « عماد ».. وهناك نسلمها الى زميله النقيب « حمدي »!

هند : حسناً.. عليك الآن أن تحضر الحقيبة من مكانها السري!

وقام « جاسر » يتبعه شقيقاه إلى حجرة منعزلة من المنزل، حيث يوضع الأثاث والأمتعة غير المستعملة.. وهي حجرة تشبه المخزن..

وضحك ياسر وهو يقول : لا بد وأنه مخبأ شديد السرية..

وكان الأمر كذلك فعلاً، فقد اتجه « جاسر » إلى تليفزيون قديم في ركن الحجرة، وفوقه بعض الأغطية القديمة، فأزاحها، وأخذ يفتح جانب التليفزيون الخلفي بواسطة مفك رفيع.. ثم رفع الجانب، ومد يده الى قلب التليفزيون، وأخرج الحقيبة..



استمر « ياسر » في ضحكه وهو يشاكس شقيقه قائلاً : هل كنت تظن أن صاحب الحقيبة رئيس عصابة خطير.. فأخفيتها في هذا المكان الغريب؟!

جاسر : ألم تسمع الحكمة التي تقول : « الوقاية خير من العلاج »؟!

ياسر : إذن لن نحتاج إلى العلاج الآن!

هند : كل ما نحتاجه هو صاحب الحقيبة!

وانقضى الوقت بطيئاً.. وهم يراقبون أبواب الفيللا بحثاً عن وجه مجهول يدق الباب طالباً للحقيبة الغريبة.. ولكن ذلك لم يحدث.. بل انقضت الساعات.. حتى الثانية عشرة التي قرروها، ثم الواحدة.. ولكن بلا فائدة!

قام « ياسر » وأمسك بالتليفون، طلب مكتب المفتش « عماد » في ادارة الشرطة الدولية.. لم يجد إلا مساعده النقيب حمدي.. فأخبره بأنهم في حاجة الى مشورته في قضية هامة.. وأنهم في الطريق إليه..

ولم يمض وقت طويل، حتى كانوا فعلاً يدخلون الى مكتب النقيب حمدي الذي يعرفهم جيداً، والذي قابلهم بابتسامة عريضة مرحبة..

جلسوا أمامه.. وفي عبارات قصيرة، شرح « جاسر » له الموضوع كله.. ولاحظ المغامرون في الحال، أن وجه النقيب « حمدي » قد اكتسى باهتمام شديد، عندما ذكروا عثورهم على جوازات السفر، وبدت اللهفة واضحة في كلماته، وهو يطلب منهم فتح الحقيبة لرؤية هذه الجوازات.

وانحنى « جاسر » يفتحها، وهو يكرر نفس الخطوات السابقة، حتى سمع تكة خفيفة، وفتحت الحقيبة.. رفع غطاءها، ونظر إليها،

وصدرت منه صرخة مكتومة.. ونظر إليهم نظرة رعب هائل، وهو يكشف الحقيبة أمامهم..

كانت خالية من جوازات السفر.. ولم يكن بها سوى ورقة واحدة.. عرفوا فيها خط والدهم.. ومكتوب بها كشف الهدايا وطريقة توزيعها!

وقف الثلاثة حول الحقيبة بحركة لا شعورية، ونظروا إليها في فزع رهيب.. كانت الحقيقة الآن واضحة أمامهم كالشمس، لقد نجح صاحب الحقيبة في التسلل إلى منزلهم ليلاً.. ومن الواضح أنه قضى فيه وقتاً طويلاً.. وكافياً لأن يبحث في كل أنحاء المنزل، وأنه لم يترك مكاناً لم يفتش فيه.. وأنه أيضاً على درجة خطيرة من الذكاء.. درجة جعلته يصل إلى هذا المكان السري الذي لا يخطر على بال أحد..

نظر اليهم النقيب « حمدي » في شك، ولاحظوا في عيونه أنه لا يصدق ما حدث.. فواجهه « جاسر » بانفعال شديد، وهو يؤكد له أنه قال له الصدق في كل كلمة قصها عليه..

جلس النقيب « حمدي » صامتاً، وقال ياسر هامساً : لقد صدق ظنكما.. إن المسألة لم تكن عادية، ولا بسيطة.. ان وراء هذه الحقيبة قضية غامضة وعصابة خطيرة!

سأله حمدي وهو يكتم غيظه : وكيف توصلت إلى هذه النتيجة!



قال ياسر شارحاً رأيه : لأننا كنا ننتظر صاحب الحقيبة لنسلمها له، فلماذا لم يأت الينا من الباب كما كنا نتوقع، لأنه لا يريد أن يظهر أمام أحد.. ولا بد أن لذلك سبباً اجرامياً.. جعله يقتحم المنزل.. ويتحرك فيه كما يشاء!

قالت هند : أخيراً اقتنعت؟

قبل أن يرد ياسر.. هتف النقيب حمدي : ولكن.. كيف نجح في التسلل الى المنزل كما تقولون.. أليس لديكم كلب مدرب؟ اسمه « عجيبة » على ما أعتقد!

جاسر : نعم.. هذا صحيح.. ولكنه في مستشفى الحيوان بحلوان.. فقد أصيب بجرح نتيجة سقوط قالب من الطوب على رأسه في الشارع. ولذلك فإنه غير موجود بالمنزل!

ابتسم المفتش « حمدي » محاولاً جلب الطمأنينة الى قلوبهم وقال : حسناً، عليكم الآن بالعودة الى المنزل.. لم يعد هناك ما يمكنكم عمله.. لقد استرد الرجل ما يريده، ولا أعتقد أنه سيحاول العودة مرة أخرى.. أتركوا الأمر للشرطة، وشكراً لكم على أية حال..

فتح « ياسر » فمه لينطق، ولكن نظرة محذّرة من شقيقته، جعلته يلوذ بالصمت.. وحيا المغامرون الثلاثة النقيب « حمدي ».. وأسرعوا بالعودة إلى منزلهم، وفي الطريق.. قال ياسر : لقد تذكرت أنك تحتفظ بصورة من هذه الجوازات.. وعندما أردت أن أذكر ذلك للنقيب حمدي.. نظرت إليّ هند محذّرة!

جاسر: معها حق.. النقيب « حمدي » لا يصدقنا تماماً كما يبدو عليه.. ثم..

قالت : ثم.. أليس من الممكن أن يكون المجهول الذي توصل إلى الحقيبة، قد توصل أيضاً إلى صور الجوازات.. ماذا يكون موقفنا أمام النقيب اذا ثبت عدم وجودها هي الأخرى!

جاسر: لو أنها سرقت أيضاً لكان ذلك هو الجنون بعينه.. وما كنا لنصلح مغامرين على الاطلاق!

هند : لماذا؟ هل تخفيها في مكان، أشد سرية من مكان الحقيبة!

هتف جاسر ساخطاً : طبعاً.. لقد كانت معي، في فراشي.. تحت مرتبة السرير، فكيف تسرق مني إلّا إذا كنت ميتاً!!

ضحك ياسر وهند.. التي قالت : حسناً.. هيا أسرعا.. حتى نطمئن على وجودها..

واتسعت خطواتهم.. ودب فيهم النشاط.. كانت روح التحدي قد بدأت تسري في قلوبهم.. ونداء الواجب.. واللغز المثير يناديهم.. فانطلقوا حتى وصلوا إلى منزلهم في وقت لا يذكر.. وقفز « جاسر » إلى الدور العلوي.. واندفع إلى حجرته.. وبعد لحظات عاد إليهما وعلى وجهه ابتسامة واسعة.. فقد كانت صور الجوازات في مكانها الأمين، ضحكت هند وقالت : الآن.. كأننا لم نفقد شيئاً!

وجلس الثلاثة في شرفة المنزل يطلون على الحديقة الصغيرة.. وقد بدأت عقولهم تعمل.. وبسرعة : قال ياسر : هذا اللص الخطير، كيف اقتحم المنزل، وفتشه كله بدون أن نشعر به!

جاسر: لا بد أنه لم يكن وحده.. حتى يتمكن من تغطية كل مكان في المنزل بهذه السرعة.. انها عصابة، ومدربة تدريباً عالياً.. فانهم لم يتركوا وراءهم أثراً واحداً جذب انتباهنا في الصباح.. أو جعلنا نشعر بأن أحداً قد زار المنزل..

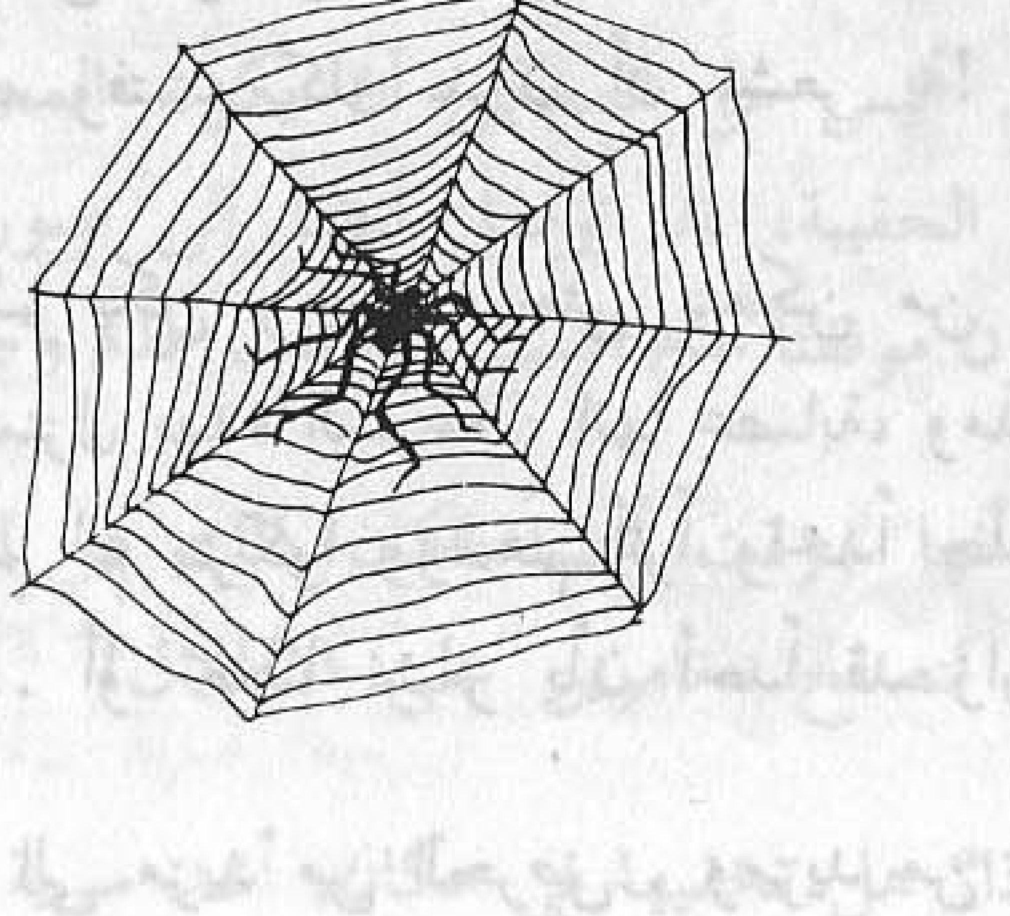
هند : هذا يدعونا الى مزيد من الحرص.. ومزيد من التفكير في

طريقة تحدي هذه العصابة الخطيرة، والوصول اليها والى أهدافها..

ياسر : هذا صحيح.. سوف أعد طعام الغداء.. لأترك لكما فرصة للتفكير ووضع خطوات العمل.. ولتكن جلستنا القادمة، جلسة عمل، بعد تناول الطعام..

وتحرك ياسر الى المطبخ.. واستغرق « جاسر » و « هند » في تفكير عميق.

* * *



خطة عمل .

بدأت جلسة العمل.. كانت الساعة تدق الثالثة تماماً.. في أشد لحظة من لحظات الحر في القاهرة.. لحظة يتوقف فيها التفكير من شدة الحرارة، ولكن المغامرين الثلاثة كانوا في أشد حالات الحيوية والنشاط والذكاء المتوقد..

أمسكت « هند » بأوراقها.. وقالت وهي تقرأ منها بعض الملاحظات التي قيدتها : إن وجود أطفال من بلاد مختلفة، يشير الى أن هذه العصابة، هي عصابة دولية، لها فروع في أكثر من بلد.

ثانياً : إن هدف هذه العصابة هو خطف الأطفال الصغار، ثم بيعهم في أوروبا.

جاسر: تماماً.. أنا متفق معك في هذا.. فقد قرأت كثيراً عن هذه العصابات، ولكنها كانت تحصر نشاطها في أمريكا الجنوبية، وتبيعها في أمريكا.. ولكن لا بد أنها قد مدت نشاطها

إلى الشرق الأقصى.. وإلى مصر، ثم تنتقل بهم إلى سويسرا..

ياسر : وهل تبيع الأطفال في سويسرا؟

هند : من يدري.. ربما كانت سويسرا محطة وصول.. ومنها يوزع الأطفال الى كافة أنحاء العالم!

ياسر : يا لها من عصابة خطيرة، وحقيرة..!

هند : معك حق.. كلما فكرت في هؤلاء الصغار وهم يحرمون من أحضان أمهاتهم وحنانهن.. أو فكرت في الأمهات اللواتي يفقدن أطفالهن.. يكاد يصيبني الجنون!

جاسر: انها مهمة إنسانية بالدرجة الأولى، ويجب أن نتصدى لها بكل قوتنا!

هند : ألا نتصل بالنقيب حمدي، ونخبره بصور الجوازات الموجودة لدينا؟

جاسر: سوف نؤجل هذه الخطوة، حتى نتوصل إلى دليل قوي يؤكد كلامنا!

ياسر : اذن علينا الآن بالعمل.. ما هي الخطوة الأولى!

هند : أولاً.. ينقل كل منا كشفاً بأسماء الأطفال.. المصريين على الأقل.. مع عناوينهم حتى يمكننا العمل في إطاره.

ياسر : وثانياً؟

هند : ان في جوازات السفر، عناوين هؤلاء الأطفال، وان كنت أشك في أنها عناوين حقيقية.. نذهب إليها، ونبحث عن أصحابها.
ثالثاً : التأكد من الطريقة التي حصل بها أفراد العصابة على هذه الجوازات!

ياسر : عظيم.. سوف نبدأ بهذه الخطوات..

وأسرع الثلاثة يكتبون في كراسات مذكراتهم، أسماء الأطفال المصريين.

١ ــ عادل عبد الوهاب السيد..
بولاق الدكرور.. حارة سماحة!

٢ ــ سيد علي فهمي..
العجوزة ــ شارع عطوة رقم ١٣

٣ ــ نادر عبد الفتاح الكومي..
العجوزة ــ شارع سلامة حجازي رقم ١٣٩..

٤ ــ عبدالله السيد صالح..
الجيزة ــ شارع سيد درويش ــ رقم ٤٨

٥ ــ سامي السيد صالح..
الجيزة ــ شارع سيد درويش ــ رقم ٤٨

٦ ــ نادية فهمي عبيد!
بنها ــ شارع سرياقوس.

٧ ــ ليلى فهمي عبيد!
بنها ــ شارع سرياقوس.

٨ ــ أبو العلا يحيى سلامة..
طوخ ــ شارع السلطان عبد الحميد

٩ ــ ظافر سلامة عبدالله..
طوخ ــ شارع السلطان عبد الحميد

١٠ ــ يحيى عبد اللطيف الطيب..
طنطا ــ شارع السيد البدوي

١١ ــ حاتم عبد اللطيف الطيب..
طنطا ــ شارع السيد البدوي

١٢ ــ ثريا عبد الرحيم خفاجة..
طنطا ــ شارع السلام..

تنهد « ياسر » بعد ان انتهى من الكتابة وقال : لماذا لا تكون

هذه الجوازات مزوّرة! ان من الصعب الحصول عليها بالطرق القانونية.

هند : مثل هذه العصابات، تستطيع أن تزرع لها أعواناً في الأماكن المهمة.. حتى تكون أوراقها سليمة.. ولا تعرّضها لأي خطر!

جاسر: أعتقد أن هذا الكلام صحيح.. وعلى فكرة.. لقد لاحظت أن بعض هذه العناوين مكررة.. وأسماء لأخوة أيضاً!

هند : الذي أعتقده أن هذه الأسماء.. والعناوين مزوّرة.. أما صور الأولاد فهي صور حقيقية.. والجوازات سليمة، ولكن البيانات فقط هي الخطأ!

ياسر : حسناً.. سوف نتأكد من ذلك!

جاسر: من السهل أن نتأكد من الأسماء والعناوين.. ولكن المشكلة في مصلحة الجوازات.. كيف يمكن أن نعرف أسماء الذين استخرجوا هذه الجوازات؟

هند : لن نعرف حتى نسأل.. ولكننا الآن في وقت متأخر، وقد أغلقت مكاتب الجوازات أبوابها.. ولن نتمكن من السؤال حتى صباح الغد!

ياسر : ولكننا نستطيع أن نبحث عن العناوين المكتوبة في الجوازات..

هند : هذا صحيح.. سوف نختار أقرب العناوين إلينا.. ونذهب اليها! ولكن بعد قليل.. بعد أن تخف درجة الحرارة.. ليكن في الساعة السادسة مثلاً!

جاسر: حسناً.. إن بها بعض العناوين القريبة، في الجيزة.. والعجوزة.. سنبدأ بالعجوزة، فهو الأقرب إلينا!

هند : سنستريح قليلاً، ونلتقي في السادسة تماماً!

* * *

وهكذا بدأت الخطوة الأولى في المغامرة الخطيرة.. مغامرة التصدي لعصابة دولية ترتكب جريمة خطف الأبرياء من أحضان ذويهم.. تنتزعهم من أهلهم وبلدهم، لتزرعهم في وطن غريب، وأسرة بديلة.. وحنان مفقود!

اشتعلت حماسة المغامرين الثلاثة.. وهم يجتمعون في الموعد المحدد تماماً.. وتشاوروا هل يتجه كل منهم إلى عنوان، أم يذهب الثلاثة معاً.. واستقر رأيهم على التحرك معاً، فلم يكن هناك الكثير من العمل اليوم.. واختاروا أقرب عنوان اليهم.. في العجوزة، عنوان الطفل « سيد علي فهمي » ذو السنوات الثلاث.. حي العجوزة هو

أقرب الأحياء اليهم.. فاتجهوا إليه سيراً على الأقدام بحثاً عن شارع عطوة رقم/١٣.

وقال ياسر : إن اسم عطوة اسم قديم.. لا بد أنه في الجزء القديم من حي العجوزة!

وافقا على رأيه فوراً.. واتجها الى هناك.. وبدأ البحث عن اسم الشارع.. وكلما اقترب « جاسر » من أحد، وسأله عن اسم الشارع، وجده يهز رأسه علامة على جهله بهذا العنوان.. ومضى الوقت بدون فائدة.. حتى أوشك اليأس أن يدب في قلوبهم، وتأكدوا أن العنوان غير صحيح.. ولكن في اللحظة الأخيرة.. أشار لهم أحد العمال من كبار السن، إلى حارة منزوية بعيدة.. وقال : كان اسمها حارة عطوة.. وقد كاد الاسم أن يمحى من ذاكرة الناس.. وأصبح الآن لها اسم آخر..

شكروه بحرارة.. وأسرعوا إلى الحارة.. ووجدوا رقم ١٣ في الحال.. اذن هناك عنوان حقيقي ١٣ شارع عطوة!

شعر « جاسر » بالتفاؤل.. وأسرع إلى المنزل.. وعلى الباب وجد مجموعة من الأولاد تلعب في الطريق.. فسألهم متودداً اذا كانوا يعرفون طفلاً اسمه « سيد علي فهمي ».. نظر إليه الأولاد في دهشة.. وأنكروا وجود أحد بهذا الاسم..

أشار « ياسر » الى المنزل رقم ١٣.. وسألهم عن أصحابه، قال أحدهم : انه منزل الشيخ عيسى.. وهو يعيش فيه وحيداً.. وليس له أولاد أو أقارب يعيشون معه!

تقدمت « هند » بهدوء.. كان معها صورة جواز السفر، فأخرجته وقدمته إلى الأولاد.. وسألتهم اذا كانوا يعرفون صاحب الصورة، نظر إليه الأولاد في اهتمام.. وهزوا رؤوسهم مؤكدين أنهم لا يعرفون أحداً بهذا الاسم.. أو هذا الشكل..

واصل المغامرون الثلاثة أسئلتهم.. هل كان يقيم في الشارع من قبل ثم انتقل الى مكان آخر؟

ولكن الأولاد أكدوا أنهم يعرفون بعضهم تماماً.. منذ ولدوا وحتى الآن.. وليس هناك من ترك الشارع منذ سنوات طويلة!

أخيراً سأل جاسر : ألم يختف طفل من الحارة خلال هذا العام؟

ضحك الأولاد.. وقال أحدهم : وإلى أين يذهب؟ نحن هنا جميعاً منذ ولدنا، ولم يتغيب منا أحد!

غلبهم اليأس.. شكروا الأولاد.. ثم انصرفوا.. وتأكدوا الآن أن عنوان الولد الصغير المسكين غير صحيح.. إنه عنوان مزيف!

قال جاسر : أعتقد أن بقية العناوين مشابهة، كلها غير حقيقية.. كلها مزيّفة!

هند : لكننا لن نترك شيئاً للصدفة.. يجب أن نتحقق من ذلك بأنفسنا.. ان معنا هنا أيضاً عنواناً آخر في نفس الحي، لنتجه إليه!

وكان الثاني هو « نادر عبد الفتاح الكومي ».. سنتان.

وعنوانه شارع سلامة حجازي.. رقم ١٣٩

قال ياسر : انني أعرف هذا الشارع.. انه من الشوارع الرئيسية!

واتجهوا الى العنوان الثاني.. يقودهم « ياسر ».. وقد تثاقلت خطواتهم بعض الشيء.. فقد بدأوا يشعرون بأنه لا جدوى من ذلك!

ووصلوا الى الشارع المطلوب.. ولكن المفاجأة هناك كانت أبسط وأقوى.. فلم يكن في الشارع كله منزل يحمل رقم ١٣٩.. كان شارعاً قصيراً.. يربط بين ميدانين صغيرين.. وكان عدد المنازل فيه يتوقف عند رقم ٧٥..

وضحكوا من قلوبهم.. ولكنه كان ضحكاً حزيناً..

اقترح « جاسر » أن يكتفوا بذلك.. فمن المؤكد أن كل العناوين مزيفة، ولكن « ياسر » كان عنيداً، وهو يشعر بهذا الخداع الذي لجأت إليه العصابة الدولية.. فقرر أن يذهب الى عنوان ثالث.. واختار عنواناً بالجيزة.. فقد كان قريباً منه الآن..

قالت هند : ان هذه العناوين التي نتعلق بها.. تشبه خيوط العنكبوت.. كلما تمسكنا بخيط منها، ظهر أنه خيط ضعيف، ينقطع فوراً!

جاسر: معك حق.. انها ضعيفة مثل خيوط العنكبوت.. العصابة أيضاً متشعّبة.. لو تصوّرنا أن العنكبوت هو مصدرها، فان خيوطه تتوزع حوله في كل مكان!

ياسر : انه اسم مناسب.. عصابة العنكبوت!

هند : ولكننا لا نريد أن تكون كل خيوطها مقطوعة، نريد التعلق بخيط قوي!

جاسر: سوف يحدث.. لا بد أن يحدث.. هل خاب المغامرون من قبل في أي قضية صادفتهم مهما كانت شائكة!

وفعل هذا الكلام المتفائل فعل السحر في نفوسهم.. فعاد النشاط يدب في أوصالهم.. وهم يتحركون بنشاط في الطريق إلى الجيزة.

وتوقفوا عند نهاية سور جامعة القاهرة، أكبر الجامعات المصرية.. والتي تنتهي عند بداية حي الجيزة.. وقال « جاسر » وهو ينظر إلى أوراقه : في الجيزة عنوان واحد لشقيقين.. هما « عبدالله وسامي السيد صالح ».. ويسكنان في شارع سيد درويش رقم ٤٨..

قال ياسر : ان شارع الشيخ سيد درويش من أشهر الشوارع هنا، وجميع السكان يعرفونه.. ومن لا يعرف الشيخ سيد درويش موسيقار مصر العظيم!

ولم يرد عليه أحد من شقيقيه.. بل أخذا يتابعان خطواته الواسعة النشيطة، وهما يستجمعان كل قوتهما.. حتى يستطيعا ملاحقته..

وتوقف عند بداية شارع كبير.. يحمل اسم سيد درويش.. وأخذوا ينظرون الى أرقام المنازل.. واحداً بعد الآخر، حتى وصلوا الى رقم ٤٨.. وكانت مفاجأة أخرى.. فالمكان الذي يحمل هذا الرقم لم يكن منزلاً على الإطلاق.. وإنما كان آخر مكان يتوقعونه، كان مركزاً للشرطة.. وابتسموا في غيظ.. وقال جاسر جائعاً :

— إن العنكبوت أو رئيس العصابة يتمتع بروح الفكاهة!

رد ياسر من بين أسنانه : ولكننا لن نتركه حتى نقبض على روحه هذه...

قالت هند : ليست هناك فائدة من الجري وراء هذه العناوين المزيّفة، وقد بدأ الليل يحيط بنا بعد أن تأخر بنا الوقت.. هيا نعود إلى المنزل لنستعد لحركة أخرى!

وبدأت رحلة العودة، وكل منهم غارق في أفكاره.. ولم تكن تختلف كثيراً عن أفكار أخيه.. فكلها تلتقي عند هدف واحد..

* * *

قال جاسر : الخطوة التالية.. سوف نبدأها في الصباح.. وهي التحرك إلى مصلحة الجوازات.. وسيكون سؤالنا محدداً.. من الذي استخرج هذه الجوازات لأصحابها الأطفال!

هند : لن يكون الأمر سهلاً.. فهذه بيانات سرية.. لا يمكن أن يخبرنا بها الموظف المختص.. فنحن لا نملك أي صفة رسمية تسمح لنا بسؤاله!

جاسر: سوف نركز سؤالنا على جواز سفر واحد.. ان استخراج جواز السفر لأي شخص صغير يحتاج إلى موافقة ولي الأمر. وطبعاً سوف تكون الموافقة موجودة.. لأنها مزيّفة مثل العنوان.. ولكن السؤال الهام.. من الذي أحضر هذه الأوراق إلى المصلحة.. وقدمها واستلم جواز السفر؟!

هند : المسألة ما زالت معقّدة.. كيف يقدمون لك هذه البيانات السرية؟!

وصمت الثلاثة.. وأخذ كل منهم يفكر وحده للوصول إلى حل لهذا السؤال الهام.. وفجأة صاح ياسر : وجدتها.. وجدتها..

نظرا إليه في دهشة.. قال : إن لي صديقاً يعمل في مصلحة الجوازات بالقاهرة.. إسمه « بهاء حسين ».. نعم.. الملازم

« بهاء حسين ».. إنه يلعب معي « كاراتيه » في النادي، أستطيع أن أزوره في مكتبه، وأطلب منه هذه البيانات!

جاسر: هل تتصور أنه سيقدمها لك؟

ياسر : طبعاً.. نحن أصدقاء صداقة حميمة.. ثم انه يعرف أننا نقوم بحل الكثير من القضايا الغامضة.. وقد يسعده أن يعاوننا في مثل هذه القضية.

اتسعت ابتسامة هند وقالت : ان اللحظات النادرة التي يعمل فيها عقلك.. تكون لحظات رائعة يا ياسر!

هب واقفاً وقال : ياه.. يبدو أن عقلي لا يعمل إلا إذا نسيت معدتي.. ولكني تذكرتها فوراً.. أكاد أسقط من الجوع.. هل يشاركني أحدكما في طعام العشاء المتأخر هذا..

كان التفاؤل قد بدأ يسري بينهم.. فصاحا به مرحبين بأفكاره هذه المرة أيضاً.. وأسرع « جاسر » و « هند » يتخاطفان منه الطعام.. وقد ارتفعت ضحكاتهما.. حتى وقت متأخر من الليل..

* * *

وجاء صباح آخر.. وبدأ العمل من جديد..

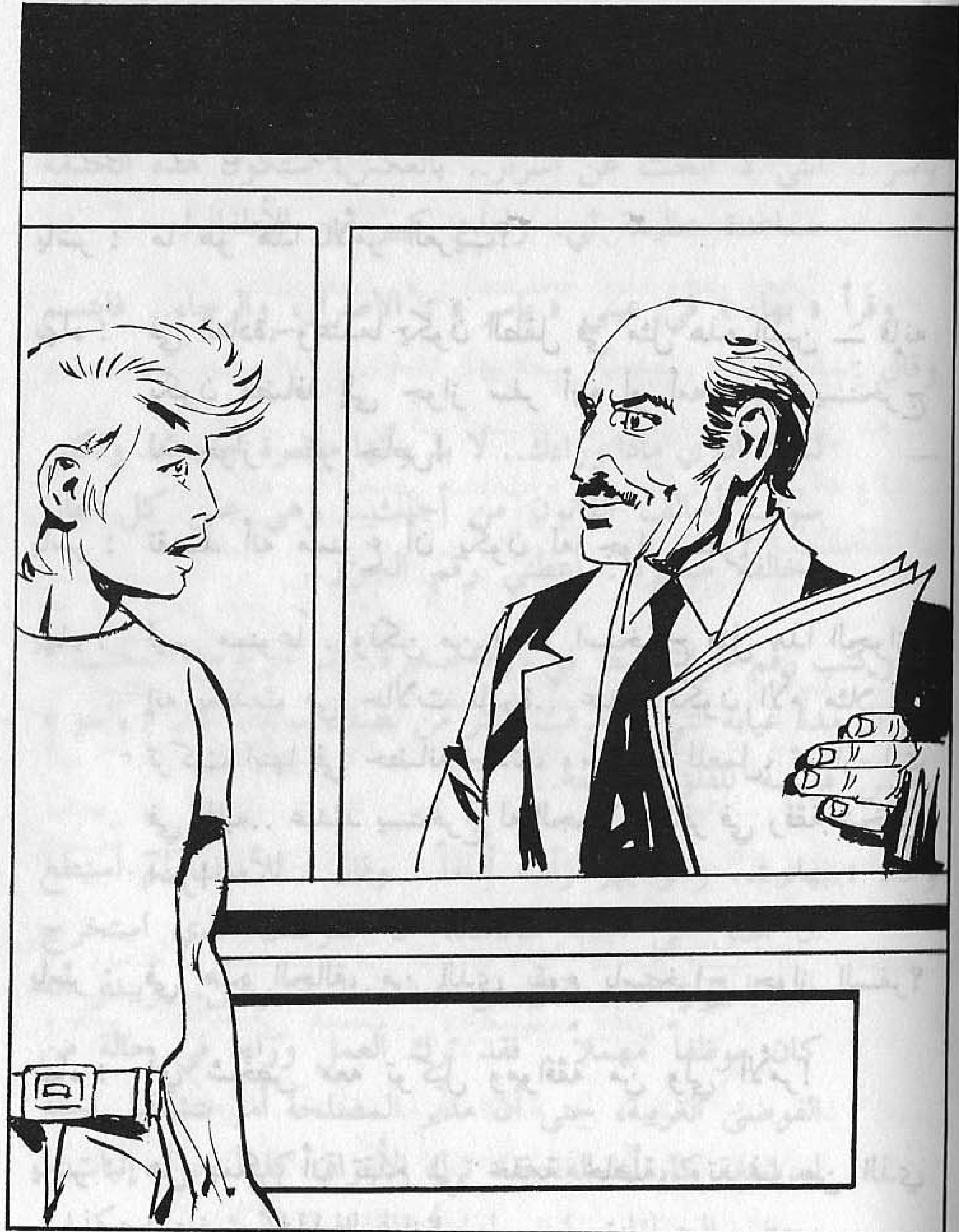
استعد « ياسر » وكان هو المسئول اليوم عن الخطوة الهامة التي يقومون بها.. فهو الذي يعرف ضابط الجوازات، وهو الذي سيظهر

كل مهارته في البحث عن إجابات للأسئلة التي تحيرهم.. ولأن « جاسر » و « هند » يعرفان مقدار القلق واللهفة والتوتر التي سيعيشان فيها طوال فترة غيابه في مهمته.. فقد أكدا عليه أن يعود بسرعة.. ودفعا له من مصروفهما الخاص أجر سيارة الأجرة الخاصة التي طالبا منه أن يستقلها، بدلاً من استعراض مقدرته على السير لمسافات طويلة..

وكان « ياسر » في الحقيقة أكثر منهما لهفة للوصول إلى نهاية هذا الخيط الجديد.. ولذا.. فقد استقل سيارة أجرة، وطلب من سائقها أن يسرع به إلى مصلحة الجوازات بميدان التحرير في قلب القاهرة الكبرى..

ولم تمض لحظات حتى كان يطرق باب الملازم « بهاء »، الذي دهش لهذه المفاجأة، وقابله بفرح وترحيب، فقد كان صديقاً عزيزاً له وزميلاً في لعبة يحبها كثيراً..

وجلس بجواره متسائلاً عن الخدمة التي يمكن أن يقدمها له.. وببساطة، أخرج « ياسر » صورة جواز سفر لطفل صغير.. أحد الجوازات التي عثروا عليها.. وسأل زميله وهو يبتسم أكبر ابتسامة ممكنة إذا كان يمكنه أن يعرف من الذي قام باستخراج جواز سفر هذا الطفل!



أمسك الملازم « بهاء » بصورة جواز السفر في دهشة وقال محدثاً ياسر : انه طفل رضيع.. لا بد وأن يكون ولي أمره هو الذي استخرج الجواز.. ولكن.. غريبة!!

ياسر : ما هو هذا الأمر الغريب؟

بهاء : في العادة، وعندما يكون الطفل في مثل هذه السن — فإنه يكون مضافاً إلى جواز سفر أبيه أو أمه.. ولا يستخرج له جواز سفر خاص!

ياسر : تقصد أنه ممنوع أن يكون له جواز سفر؟

بهاء : ليس ممنوعاً.. ولكن من النادر استخراج مثل هذا الجواز، إنه يحدث في حالات نادرة.. عندما تكون الأم مثلاً قد تركت ابنها في حضانة جدته، وسافرت للعمل، ثم أرسلت في طلبه.. عندئذ يستخرج له الجواز ليسافر في رفقة شخص آخر!

ياسر : في هذه الحالة، من الذي يقوم باستخراج جواز السفر؟

بهاء : أي شخص معه توكيل وموافقة من ولي الأمر!

ياسر : هل يمكن أن تقدم لي خدمة خاصة، وتعرف من الذي استخرج هذا الجواز؟

نظر إليه بهاء وقال : ولكن بيانات المصلحة كلها سرية، ولا يجوز كشف أي أسرار بها!

ياسر : انني لا أبحث عن أسرار.. بالعكس، ستكون هذه الخدمة مساعدة عظيمة لي، ولعدد كبير من الأطفال!

وقرأ « بهاء » في عيني « ياسر » : الاصرار، والرجاء.. فابتسم وقال :

— لست أدري ماذا وراءك.. لا بد وأنها مغامرة جديدة.. ولكني سوف أخالف القانون من أجلك.. وهي على كل حال مخالفة صغيرة.. أعطني رقم الجواز..

وكتب رقم جواز السفر في ورقة صغيرة.. ثم خرج من المكتب.. وطوال مدة غيابه التي استغرقت أكثر من نصف ساعة، كان « ياسر » يجلس فريسة للقلق واللهفة..

وعاد « بهاء ».. وهو يهز رأسه أسفاً.. وقال : للأسف لم أستطع أن أصل الى اجابة محددة، ان الموظف الذي استخرج هذا الجواز قد استقال من عمله منذ اسبوعين.. ويبدو أنه كان موظفاً مهملاً.. فقد ترك العمل وراءه في حالة من الفوضى الغريبة، حتى أن مدير المصلحة أمر بتشكيل لجنة لمراجعة كل أعماله، فقد ترك الأوراق كلها بدون إثبات.. وبعض الجوازات ليس لها أوراق في الأرشيف وهكذا..

وكان هذا الجواز من الأوراق التي ضاع نصف مستنداتها.. فلم نجد في الملف الخاص به ورقة التوقيع بالاستلام والتي يستدل منها عن صاحب الحق في استخراج جواز السفر.

نظر إليه ياسر في ذهول.. وسأله : وأين ذهب هذا الموظف؟ وهل كان يعمل في المصلحة منذ وقت بعيد؟

بهاء : للأسف انه كان أحد الموظفين الجدد.. لم يستكمل عاماً في عمله.. ولا يعرف أحد من أين جاء، أو الى أين ذهب، حتى الدوسيه الخاص بخدمته والذي يكون فيه عنوانه واثبات شخصيته والذي يجب أن يكون موجوداً في المصلحة، لم يعثر له أحد على أثر!

صافح « ياسر » « بهاء » شاكراً.. واعتذر له عن ازعاجه.. وسار في طريقه وهو يشعر بالاكتئاب يضغط على أنفاسه، واحتار كيف يحمل إلى « هند » و « جاسر » هذه الأنباء السيئة.. ها هو خيط آخر من خيوط العنكبوت ينقطع.. ولا يصل بهم إلى أي نهاية!

ولكنه لم يجد مفراً من العودة، ونقل الأخبار السيئة إلى شقيقيه.. وجلس الثلاثة في صمت.. وغضب.. وقلق..

قالت هند أخيراً : أعتقد أنه لا فائدة من البحث حول جواز سفر آخر.. فلا بد أن هذا الموظف الخبيث قد فعل بها ما فعل بهذا الجواز..

جاسر: هذا طبيعي، فلا بد أن يكون هذا الموظف أحد عملاء هذه العصابة العنكبوتية.. وهو عميلهم في مصلحة الجوازات.

ياسر : ولكن يجب أن نجد حلاً.. هل نجلس هكذا مكتوفي الأيدي؟! إن لدي فكرة .. أعتقد أنها فكرة رائعة..

هند : الينا بها!

ياسر : لماذا لا ننشر صور هؤلاء الأولاد في الجرائد، ونطلب من أهلهم الاتصال بنا؟!

صاح جاسر : لا.. لا.. لقد فكرت في ذلك من قبل، ولكني وجدت أنها فكرة خطرة جداً.. فمن الطبيعي أن ترى العصابة الصور في الجريدة.. ومن يدري ماذا تفعل مع الأولاد، ربما قتلتهم، أو سارعت بابعادهم بطريقة وحشية.. يجب ألا نلجأ إلى هذه الوسيلة إلا في اللحظات الأخيرة!

تنهد ياسر وقال : اذن لم يبق أمامنا الا الاتصال بالمفتش حمدي!

جاسر: انا لا أنسى نظرة الشك في عينيه.. يجب أن نعثر على دليل أولاً يؤكد كلامنا، ثم نقدمه له مع صور جوازات السفر!

هند : لماذا نتحدث بهذه الصورة اليائسة.. نحن لم نفعل شيئا بعد، وأمامنا الكثير الذي يمكن أن نقوم به!

ياسر : الينا بأفكارك يا ملكة الأفكار!

هند : السؤال الآن هو، إذا كانت هذه العصابة تسرق الأطفال وتستعد لتهريبهم إلى سويسرا بعد يوم ١٧ يوليو، أي بعد أسبوع من الآن.. كيف تخرجهم من مصر؟

ياسر : بالطائرة طبعاً!

هند : هذا صحيح.. وما هي شركات الطيران التي تسافر إلى سويسرا؟

جاسر: شركة مصر للطيران، والشركة السويسرية!

هند : طبعاً سوف نستبعد بقية شركات الطيران.. لأنها لا تذهب إلى سويسرا مباشرة، وانما تتجه إلى وطنها.. وجوازات السفر ليس بها تأشيرات إلى أي بلد آخر.. ما عدا سويسرا.

ياسر : هل معنى ذلك أن نبدأ في مراقبة الطائرات المتجهة الى سويسرا. بحثاً عن الأطفال.. في هذه الحالة يجب أن نقيم في المطار اقامة دائمة!

هند : يا عزيزي أرجو أن تسمح لعقلك بالعمل قليلاً.. علينا أن نبحث في شركات الطيران عن أسماء الأطفال المسافرين إلى سويسرا.. وهما شركتان فقط ــ مصر للطيران.. والشركة السويسرية..

جاسر: ولكن المسألة ليست بهذه البساطة.. إن شركات الطيران لا تقدم بيانات عن ركابها الى أي شخص!

هند : لا أظن أن الأمر بهذه الصعوبة، لأن منع تقديم البيانات سببه حوادث الارهاب وخطف الطائرات، ولا أعتقد أن شكلنا يوحي بأننا من الارهابيين!

خاصة اذا تعرفنا على أحد العاملين في المكتب الرئيسي لحجز التذاكر.. فسوف يكون الأمر سهلاً كما حدث في الجوازات.

هند : ولكن متى نبدأ.. هل تعتقد أن العصابة قد قامت بالحجز فعلاً على الطائرات منذ الآن؟

ياسر : إن بداية تأشيرة الدخول إلى سويسرا هو يوم ١٧ يوليو، أي بعد أسبوع من اليوم.. وعادة يحجز الشخص المسافر مكانه في الطائرة قبل ذلك بوقت طويل، خاصة ونحن في فصل الصيف، والسفر إلى سويسرا يتزايد في هذا الوقت!

ياسر : اذن.. ماذا ننتظر، يجب أن نتحرك الآن فوراً!

جاسر: لا.. سوف نتحرك في الساعة الخامسة.. ان شركات الطيران تغلق فترة الظهيرة صيفاً.. هل نسيت ذلك!

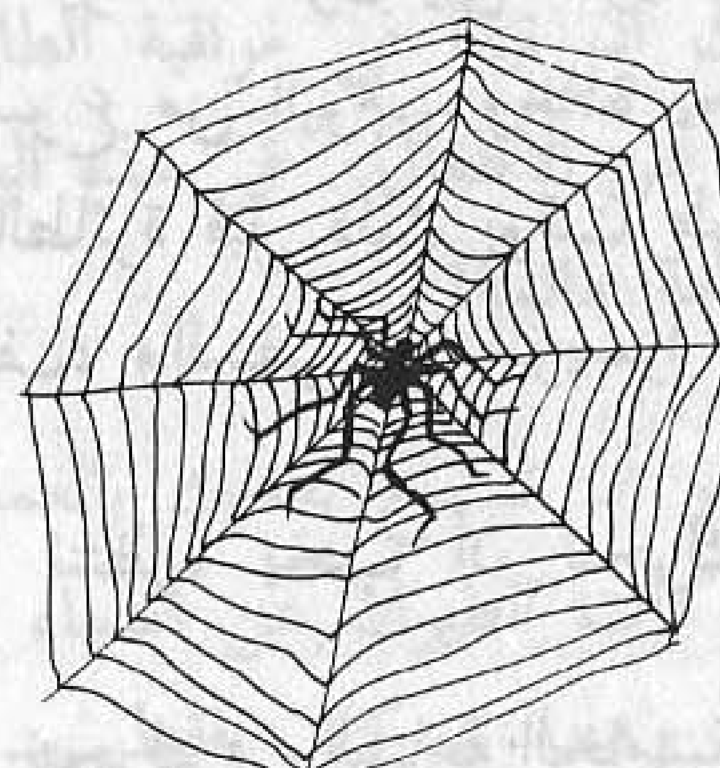
ضحك ياسر وقال : على الأقل تترك لنا وقتاً للغداء الذي سأتولى كالعادة اعداده!

هند : أنت لن تعده يا شقيقي العزيز.. انك فقط سوف تضعه على المائدة.. لأن « دادة عواطف » أعدته وجهّزته لنا قبل سفرها!

ياسر : المهم في الأمر كله هو الأكل.. نعم الأكل وليس الإعداد.. ومهمتي في الأكل سهلة فهو هوايتي المفضلة..

وصاحت هند فجأة : ياه.. كيف نسيت ذلك؟!

* * *



خرج ولم يعد.

وقفت هند مكانها، وهي تضع يدها على جبينها وكأنها تتذكر شيئاً ما.. ونظر اليها شقيقاها في تساؤل.. فقالت وهي تعود الى الجلوس : هل تعرفان « منال زيدان » زميلتي في المدرسة؟!

قال ياسر : طبعاً نعرفها.. إنها هذه الفتاة الطويلة القامة، كستنائية الشعر، ولها عينان في لون العسل.. و

ضحكت هند وقالت : ما هذا؟ هل أنت مهتم بها إلى هذه الدرجة، ليس الآن وقت الوصف والشعر.. ولكن المهم أن شقيقتها « جيهان »، وهي الشقيقة الكبرى، والتي تخرجت منذ سنتين من مدرستنا الألمانية، تعمل في الشركة السويسرية للطيران.. لأنها طبعاً قد درست اللغة الألمانية.. وهي اللغة التي يتحدث بها ثلثا الشعب السويسري.. وأعتقد أنها سوف تعطينا كل المعلومات المطلوبة!

جاسر: شيء رائع.. عليك أنت بالطيران السويسري.. وسأذهب أنا الى شركة الطيران المصرية!

ياسر : وماذا أفعل أنا.. هل أنتظركما هنا بلا عمل؟ لا.. سوف أقوم بالعمل وحدي!

سأله جاسر قلقاً : ماذا تقصد؟ ماذا ستفعل؟

ضحك ياسر وقال : سوف أتبعكما، ربما احتاج أحد منكما الى المساعدة!

ابتسمت « هند »، فقد كان « ياسر » قادراً على الضحك في أسوأ الأحوال.

* * *

في الخامسة تماماً كانت « هند » تقف أمام استعلامات شركة الطيران السويسرية تسأل عن « جيهان زيدان »، وكان « جاسر » وشقيقه في شركة الطيران يسألان بدورهما عن هدفهما المطلوب..

* * *

في الساعة السابعة.. عاد الثلاثة ليلتقوا في النادي حسب الاتفاق.. وحول مائدة عليها بعض المشروبات المثلجة، التف المغامرون الثلاثة، ولم يكن وجههم ينبئ عن تقدم يذكر..

قال ياسر : لقد تقدمت إلى رئيس المكتب.. واخترعت قصة طويلة، عن خال لي معه أطفال صغار، سوف يذهب بهم الى سويسرا وأنني أبحث عن خالي الذي لم أره منذ سنوات، لأننا كنا أيضاً في الخارج.. وكان الرجل ظريفاً، ومتفهماً، وعن طريق الكمبيوتر الخاص بالحجز.. أخبرني أن رحلات الشركة المتجهة الى سويسرا.. تتمثل في رحلتين أسبوعياً، واحدة الى « جنيف » والثانية الى « زيوريخ »، ولكنها كلها محجوزة لمدة شهرين قادمين.. خاصة وأن هناك مؤتمرات ومعارض تهم رجال الأعمال.. ولكن كل هذه الرحلات ليس بها طفل واحد، وحده أو مع أهله..
وشكرنا الرجل وعدنا كما ذهبنا..

قالت هند : لم يكن حظي أفضل، وان كانت جيهان قد أبدت كل معاونة ممكنة، وأخبرتني أن الطائرات فعلاً محجوزة لمدة طويلة، وأنه ليس بها أطفال.. والمهم في هذا اللقاء أنها شرحت لي كيف يتركون بعض المقاعد بدون حجز إلى اللحظة الأخيرة تحسباً لأية ظروف خاصة، مثل سفر شخصية مهمة مثلاً.. أو مريض يحتاج إلى سرعة السفر، وقد تركت لها رقم التليفون لتتصل بي في أي وقت إذا ما قام بالحجز لديها في هذه المقاعد الاحتياطية أي شخص معه أطفال.

ياسر : اذن لم يبق أمامنا الا هذا الخيط الرفيع! نجلس بجوار التليفون وننتظر!

هند : لا.. هناك خطوة أخرى.. ربما تكون مفيدة.. لماذا لا نراجع أسماء وصور الأولاد الصغار الذين اختفوا من أهلهم، أليس من الممكن أن نجد عنهم أخباراً في الصحف التي تنشر باب « خرج ولم يعد »..

جاسر: فكرة هائلة.. لماذا لم تخطر لنا من قبل؟!

هند : ان القضية كلها لم تبدأ معنا الا بالأمس.. أي أننا لم نتأخر كثيراً في التفكير!

ياسر : ولكن كيف نحصل على جرائد هذ العام كله؟

جاسر: نزور دور الصحف التي بها الجرائد اليومية.. يختص كل منا بجريدة وفي أرشيف الدار الصحفية، يراجع جرائد هذا العام كله.. منذ شهر يناير وحتى شهر يوليو!

هند : وهذه مسألة بسيطة، سوف نبدأها منذ الصباح الباكر، أما الآن، فلدينا مهمة أخرى!

نظرا اليها في تساؤل؟!

قالت هند : يجب أن يكون مع كل منا صور لهؤلاء الأولاد، أليس كذلك؟!

وهب جاسر واقفاً وقال : هيا إلى المنزل.. سوف أنقل لكل منكما نسخة من كل جواز..

* * *

وقام « جاسر » بعمله على خير وجه.. قبل أن تنتهي الأمسية.. كان مع كل منهم نسخة من جوازات السفر، بها صور الأولاد، وأسماؤهم وكل البيانات المطلوبة..

وبحرص شديد، وضع كل منهم ما يخصه من النسخ في مظروف كبير، واصطحبه معه إلى فراشه.. من يدري.. فقد تعود العصابة الدولية إلى زيارتهم كما حدث بالأمس..

وعندما استسلموا للنوم.. كان هناك شعاع من أمل يداعب أحلامهم.. شعاع يحمل اسم « خرج ولم يعد »..

* * *

في بداية اليوم.. مبكراً.. اتجه كل واحد من المغامرين الثلاثة الى جريدة من الجرائد الصباحية.. ولم يكن الأمر صعباً بالنسبة لهم، فمن المعروف أن دور الصحف، تسمح لمن يريد بالاطلاع على جرائدها في داخل الأرشيف الخاص بها.. وبين العدد الكبير

من نسخ الجرائد التي صدرت خلال شهور هذا العام، غرق كل واحد من المغامرين يبحث بين الصفحات عن الأطفال المفقودين.. يراجع الصور والأسماء.. واحداً.. واحداً..

انقضى اليوم كله في عمل مستمر.. بل انهم نسوا حتى موعد الغداء فلم يتحرك أحد من مكانه حتى انتهى من كل الجرائد الموجودة معه..

وكانت « هند » هي آخر المغامرين في العودة إلى منزلهم.. وجلس شقيقاها في الانتظار.. نظرت إليهما.. وقرأت الأخبار على وجهيهما.. لم يجدا أي صورة أو اسم يشبه الأسماء الموجودة لديهم..

أما « هند »، فقد كان تعبير الانتصار يبدو واضحاً على وجهها، حتى أن « جاسر » و « ياسر ».. لم يجسرا على الكلام.. بل نظرا إليها في لهفة شديدة.. تدعوها إلى الحديث فوراً!

ألقت « هند » أمامهما بنسخة من جريدة.. صدرت منذ خمسة شهور..

وقالت : أنظرا إلى هذه الصورة..

وألقت بجوارها بجواز سفر من الجوازات التي تحملها معها.. ونقل « جاسر » نظراته بين الجريدة والجواز، وقال في انتصار:

— انها نفس الشخص..

هند : طبعاً! ولكن الاسم مختلف! اسمه في جواز السفر هو « أبو العلا يحيى سلامه ».. وعنوانه طوخ شارع السلطان عبد الحميد.. ولكن صورته في الجريدة تحمل اسم « جلال عبد اللطيف سالم »، وعنوانه حارة الزعفراني بمصر القديمة..

ياسر : أنت أعظم مغامرة في الدنيا يا هند.. لقد نجحت في ما فشلنا فيه!

هند : على العكس.. إن هذه الصورة مجرد صدفة غريبة، لأن ما يلفت النظر أن لدينا أثنا عشر اسماً، ومع ذلك لم ينشر اسم واحد منها في جريدة.. اليس ذلك شيئاً غريباً..

ياسر : ماذا تقصدين؟

جاسر: آه.. فهمت ما تفكرين فيه.. ان نشر الصورة في جريدة يكلف مبلغاً كبيراً.. من المال.. وليس كل شخص بقادر على دفع هذا المبلغ، ولذلك لم ينشر أهل هؤلاء الأطفال صورهم.. أي أنهم من الطبقات الفقيرة جداً!

هند : هذا صحيح! ولذلك كان غريباً أن تنشر هذه الصورة، ولا بد أننا سنجد تفسيراً لذلك!

جاسر: الخطوة القادمة هي زيارة أسرة هذا الطفل طبعاً!

ياسر: ولكنها ستكون الخطوة الأخيرة أيضاً.. اذا لم نصل إلى خيط يوصلنا الى هذه العصابة.. فيجب أن تبلغ الشرطة قبل يوم ١٧ من هذا الشهر!

جاسر: حسناً.. اتفقنا.. وان كنت أشعر أننا سوف نصل الى نتيجة هذه المرة!

هند: وهذا رأيي أيضاً..

* * *

وكان الوصول الى مصر القديمة — في اليوم التالي — ليس صعباً، ولكن المشكلة كانت في العثور على حارة الزعفراني.. فقد كانت المنطقة قديمة.. مجموعة من الحارات الضيقة.. ومنازل عتيقة، يشعر السائر وسطها وكأنها على وشك الانهيار، ومجموعة ضخمة من الأطفال، تكاد تسد الطرقات.. ولكن وجوههم كانت مبتسمة بشوشة.. تنظر إلى المغامرين بترحاب..

وانحنى « ياسر » متردداً على أحد الصغار، وسأله إذا كان يعرف مكان حارة الزعفراني.. ولم يتردد الصغير لحظة، بل أسرع يطلب منهم أن يتبعوه..

جرى في نشاط، وأسرع المغامرون في خطواتهم، حتى يلحقوا به.. حارة وراء الأخرى.. إلى أن وصل إلى زقاق صغير، له مدخل واحد.. ومسدود من الناحية الثانية وقال بصوته الرفيع : هذه هي حارة الزعفراني! هل تريدون أم جلال؟

نظروا إليه في دهشة : كيف عرف أنهم يقصدون هذا المنزل!

واصل الصغير كلامه قائلاً : هل عثرتم عليه؟

رد ياسر : كيف عرفت أننا نبحث عن منزل جلال؟

الصغير: طبعاً.. فحارتنا لا يأتي إليها غرباء.. إلا رجال الشرطة الذين حضروا ليبحثوا عنه!

ابتسمت هند وقالت : لقد جئنا لنسأل عن أخباره.. هل عثر عليه أحد؟

اختفت الابتسامة من وجه الطفل وقال : أبداً.. حتى أمه « العمة أم جلال » لم تعد تترك منزلها أبداً! وكأنها تجلس في انتظاره!!

وأشار بيده إلى البيت الذي يسد الحارة.. وانطلق عائداً، وهو يقفز في طريقه كالقرد الصغير..

طرق « جاسر » الباب.. وجاء صوت من الداخل يدعوه للدخول، فدفع الباب برفق، كان منزلاً بسيطاً.. ولكنه نظيف.. يوحي بالفقر الشديد.. وجلست في منتصف الصالة على كرسي قديم، سيدة

يبدو عليها الحزن الشديد.. وعيناها مملوءتان بالدموع، وكأنها لا تنقطع عن البكاء.

نظرت اليهم في لهفة وقالت بصوت حزين : أهلاً بكم.. هل لديكم أخبار عن جلال؟

أسرعت هند اليها، واحتضنتها، وأخذت تربت على كتفيها مواسية وقالت : إننا نبحث عنه، وعن كثيرين غيره.. وقد جئنا نسألك لأننا رأينا صورته في الجريدة!

أحنت رأسها وقالت : آه.. الجريدة.. إن جارنا عبد الحميد يعمل في الجريدة.. في مطبعتها.. وهو الذي نشر الصورة!

وعرف الأولاد أن رأيهم كان سليماً!

قال جاسر : كيف اختفى جلال!

أجابت وهي تنظر اليه في دهشة، فقد أجابت على هذا السؤال عشرات المرات وقالت : لست أدري.. انه صغير، سنه ٥ سنوات، ولكنه يتحدث جيداً، ويعرف طريق البيت وسط هذه الحارات.. وقد تركته أمام الباب حتى أعد الطعام.. ولكنه اختفى.. يبدو أنه قد خرج إلى الطريق العام.. ولم يتمكن من العودة!



هند : ألم يتصل بكم أحد بعد أن نشرتم الصورة في الجريدة!

هزت رأسها وقالت : أبداً.. لم يتصل بنا إلا الشرطة، وهذه السيدة الأجنبية، التي حضرت ثم اختفت!

سألها جاسر بلهفة : سيدة أجنبية؟.. من هي، وماذا فعلت؟... ماذا قالت لك؟!

نظرت إليهم في دهشة وقالت : سيدة كبيرة السن والمقام.. يبدو أنها ذات مركز كبير.. فقد كان معها سائق بعد أن تركت سيارتها بعيداً لأنها لا يمكن أن تسير بها في هذه الحارات الضيقة.. وأخبرتني أنها من هيئة دولية كبيرة ترعى شئون الأطفال، وأنها تبحث معي عن جلال.. ثم قدمت لي مساعدة مالية.. مائة جنيه كاملة..

هند : وهل أخذت منها النقود!

الأم : بعد الحاح شديد.. فقد رفضت في البداية، لأن ابني أغلى من كل كنوز الأرض.. ولكنها أصرّت على ذلك، قائلة أنها من هيئة دولية تقدم هذه النقود لكل المفقودين.. ثم طلبت مني التوقيع على أوراق استلام هذه المساعدة، ووعدتني خيراً، ثم خرجت هي الأخرى ولم تعد..

قال جاسر : ألم تترك معك عنواناً، ولا اسماً.. ولا اسم هذه الهيئة؟

الأم : لا.. وأنا لم أطلب منها شيئاً.. فأنا لا أريد إلا جلال، ابني الصغير، حتى النقود ما زالت مكانها، لن أمد يدي اليها حتى يعود!

وقف الأولاد في أماكنهم صامتين، وقد غلبهم الحزن والأسى والضيق الشديد لعجزهم عن مساعدتها.. ثم ودعوها، وخرجوا وفي عيونهم الدموع..

قالت هند : إنها المرة الأولى التي لا نجد منفذاً واحداً يساعدنا على حل هذا اللغز!

جاسر: لأنها عصابة دولية مدربة.. ان هذه السيدة الأجنبية التي لم تترك وراءها أثراً قد نجحت في الحصول على توقيع الأم المسكينة على عدد من الأوراق.. لا بد أنها تحتوي تنازلاً عن الابن المسكين!

هند : انهم لا يتركون ثغرة يمكن أن ينفذ إليهم القانون من خلالها!

ياسر : أو نتسلل نحن منها لنصل الى حقيقتهم..

هند : وما العمل الآن؟

جاسر: سوف تحدث معجزة!

ياسر : اليوم ١٤ في الشهر.. وسفر الأطفال يبدأ يوم ١٧.. فمتى تحدث المعجزة..

قالت هند وهم يعودون الى المنزل : سوف تحدث المعجزة اليوم والا.. فعلينا أن نصنعها بأيدينا.. أما كيف؟

فهذا ما يجب أن نفكر فيه..

قالت هند وهي تقرأ في بعض الأوراق التي وضعتها أمامها : علينا الآن أن نركز معلوماتنا عن هذه القضية الغامضة، لقد كان أصدق وصف لها أنها عصابة العنكبوت.. لأن خيوط العنكبوت ضعيفة كما يقولون.. وكلما أمسكنا خيطاً، انقطع قبل أن نصل الى نهايته.. ولكن.. ها هي القضية باختصار :

● عصابة دولية تخطف أطفالاً من أنحاء العالم.. ومنها مصر.. وتتجه إلى سويسرا.

● في خلال الـ ٨ شهور من هذا العام، خطفت ١٢ طفلاً مصرياً.. تستعد للهروب بهم إلى الخارج!

● يبدأ هذا الهروب يوم ١٧ يوليو.. أي بعد ثلاثة أيام.

● العصابة تخطط لكل أعمالها بطريقة قانونية.. حصلت على توقيع أولياء أمور الأطفال.. واستخرجت لهم جوازات سفر.. استعانت على ذلك بعملاء مثل مخالب العنكبوت موجودين في كل مكان..

● طريقة الهروب ليست معروفة حتى الآن.. لأنهم لم يحجزوا أماكن على الطائرات..

والآن.. المطلوب أن نعرف : أولاً : أين تحتفظ العصابة بهؤلاء الصغار المختطفين طوال هذه الشهور؟

ثانياً : ما هي طريقة تهريبهم الى الخارج؟

— عرض عظيم لقضية خطيرة..

جاء الصوت من خلفهم غاضباً، وقاسياً. قفزت « هند » من مكانها، رأت عمها المقدم « عماد ».. يمد يده ليسحب منها أوراقها وهو يقول :

— كيف اشتركتم في هذه القضية الكبيرة؟.. وما الذي أوصلكم الى الاشتراك بها؟..

كان صوته عنيفاً.. فلم يسمح لهم حتى بالترحيب به، وقص عليه « جاسر » في عبارات سريعة القضية من البداية، وحتى آخر ما توصلوا اليه..

جلس المقدم « عماد ».. واستغرق في التفكير، وهو ينظر اليهم نظرات غاضبة ثم قال :

انني أمنعكم من الاشتراك في أي عمل ضد هذه العصابة الدموية.. وهذا أمر.. لقد ارتكبت جرائم خطيرة في جميع أنحاء العالم، ولن تتورع عن القضاء عليكم.. ولا أريد أن أنشغل عن عملي بالانشغال عليكم.. اننا نعرف كل أسماء

الأطفال المفقودين.. ووضعنا صورهم وأسماءهم في جميع منافذ جمهورية مصر العربية.. ولن يتمكن أحد من الخروج بأي طفل منهم!

لم يستطع أحد من المغامرين الثلاثة أن يناقشه في كلامه، فقد كان حديثه صارماً وقاطعاً.. ففضلوا الصمت..

عاد ينظر اليهم، ثم لاحت على شفتيه شبه ابتسامة وقال :

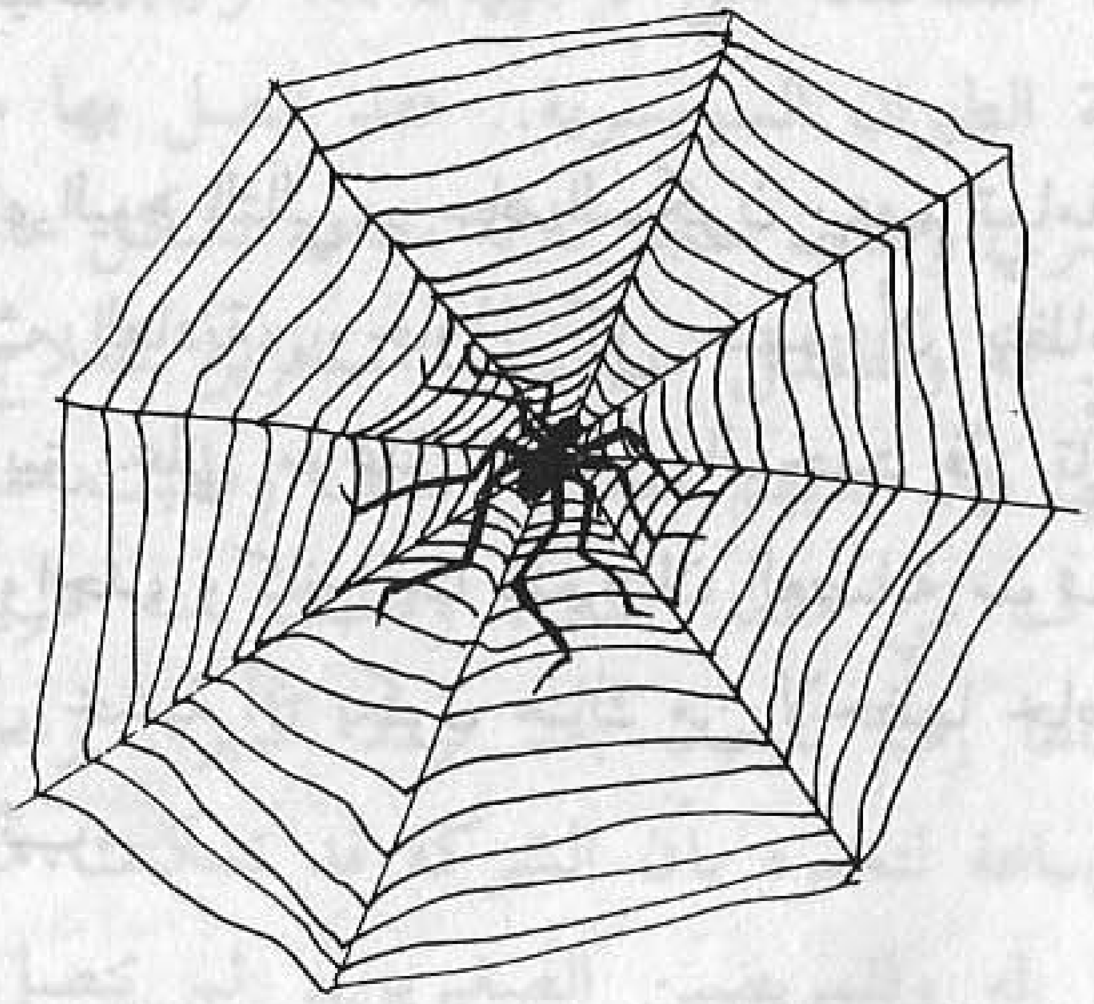
— على كل حال، لقد قدّمتم لنا خدمة جليلة، فلأول مرة نعرف أنهم سيتوجهون إلى سويسرا.. وتاريخ بدء السفر.. وهذا عمل باهر.. أرجو أن تكتفوا به.. انني اخاف عليكم.. كثيراً، أريد أن أكون مطمئناً عليكم.. خاصة وأنني سأقضي يومين في مهمة خارج القاهرة.

لم ينطق أحد منهم بكلمة.. فقال ضاحكاً : الصمت دليل الرضا، يبدو أنكم موافقون.. شكراً لكم!

وأسرع بخطواته الرشيقة الى مكتبه.. وتبادل المغامرون الثلاثة النظرات في حزن وأسف، وأخيراً هز ياسر كتفيه في يأس وقال : على كل حال لم يكن أمامنا ما يمكن أن نفعله.. انها قضية غامضة.. فشلنا في حل غموضها.. ولم نجد خيطاً واحداً من الضوء نسير على هداه!

وصعد الجميع الى حجرات نومهم.. وفي هذه الليلة لم يتمكن النوم من التغلب على « هند »، الا بعد وقت طويل، وكانت تبكي في صمت!

* * *



المعجزة!

مضى اليوم التالي كاملاً.. في صمت وسكون، وكان شعور الفشل قاسياً على المغامرين الثلاثة.. فتحاشى كل منهم الحديث حول هذا اللغز الغامض الذي فشلوا في كشف أسراره.. وان لم ينس أحدهم في قرارة نفسه أن يحاسبها جيداً على ما وصلوا اليه من يأس واحباط..

وعندما جاء اليوم التالي.. ساد السكون بينهم تماماً.. فلم يتبادلوا حتى الأحاديث العادية، وحاول كل منهم أن يتظاهر بالقراءة أو الرياضة، فلم يبق على موعد الدخول المحدد في تأشيرة جوازات السفر الا يوم واحد، وكانوا متأكدين ان العصابة سوف تبدأ تحركها منذ اليوم الأول خشية أن يكون هناك من لاحظها خاصة بعد حادث اختلاط الحقائب..

ومرت الساعات بطيئة مملة.. حتى شق السكون فجأة رنين جرس التليفون، وأسرعت اليه « هند »، وكأنها تأمل في حدوث معجزة

ما.. ولم يهتم « جاسر » ولا « ياسر » بمحاولة الرد.. ولكنهما التفتا الى حيث تقف « هند » بعد أن علا صوتها باللهفة والاهتمام..

وكانت هند تسأل : ألم يخبرك باسمه..

ــ ....

هند : حسناً.. اتصلي به بعد قليل، حاولي معرفة أي بيانات عنه.. وبالمناسبة.. ما هو رقم هذا التليفون..

وكتبت « هند » الرقم في ورقة أمامها بجوار التليفون.. وأنهت المكالمة، واستدارت الى شقيقيها، وقد عاد الحماس يملأ وجهها..

قالت : كانت المتحدثة هي « جيهان ».. رئيسة قسم الحجز في شركة الطيران السويسرية.. فقد اتصل بها منذ قليل رجل سويسري وطلب حجز ثلاثة مقاعد بشكل عاجل على طائرة الغد.. له ولطفلين مريضين، مسافرين للعلاج، وقد أخبرته بأسفها لأن لديهم مقعدين فقط، وطلبت منه مهلة تحاول التصرف في مقعد ثالث، وطلبت منه طريقة لتتصل به، فأعطاها رقم تليفون بعد تردد كبير.. وسوف تتصل به بعد ساعة لتخبره بأن الشركة قد تمكنت من توفير أماكن السفر له وللمريضين الصغيرين.. ثم تتصل بي!

جاسر: هذه مفاجأة رائعة..

ياسر : هل تقصد أن حكاية الأطفال المرضى ليست حقيقية، وأنهما من الأطفال المخطوفين؟

جاسر: طبعاً.. لا شك في ذلك.. ان العصابة تحجز أماكن في اللحظة الأخيرة، وتدعي أنهما من المرضى حتى تيسر لهما الاجراءات، وبهذه الطريقة، يمكن خروج الأطفال واحداً.. وراء الآخر..

ياسر : اذن لم يبق أمامنا الا الهجوم على المجرم الذي يخرج بالطفلين غداً الى الطائرة!

هند : ولماذا لا نحاول الوصول الى الأطفال والعصابة كلها قبل ذلك؟

ياسر : كيف؟

هند : سوف تتصل « جيهان » برقم التليفون بعد قليل، وعادة فاذا كان المكان من الأماكن العامة، فسوف يرد المتحدث باسم هذا المكان.. على الأقل سنتعرف الى المكان الموجود به الطفلان على الأقل!

جاسر: وما هو هذا الرقم؟

هند : ها هو ٣٥٨٨١٥٥٠٠ والمتحدث اسمه مسيو « جنشر ».

جاسر: ان التليفونات التي تبدأ بأرقام ٣٥ كلها في منطقة جديدة تماماً في آخر حي المعادي.. واسمها منطقة « القمر الصناعي »!

قال ياسر وهو يحرك يديه بنشاط : لقد بدأت الأمور تجري بسرعة، وأرجو أن ننجح بعد هذا الفشل الطويل!

جاسر: لنبدأ العمل.. ليستعد كل منا بالملابس الخفيفة، وبعض الأدوات لنقوم بزيارة لحي « القمر الصناعي ». انه حي حديث، وصغير.. والأماكن المبنية فيه محدودة..

هند : أمامنا دقائق نستعد فيها، قبل أن تعود « جيهان » للاتصال بنا.

* * *

وعندما ارتفع رنين جرس التليفون مرة أخرى.. أسرع اليه الثلاثة في لهفة.. وبدأت « هند » الحديث مع « جيهان »، واذا بخيبة الأمل تظهر على وجهها رويداً رويداً.. ثم وضعت سماعة التليفون، وسقطت على مقعدها وقالت : لقد انقطع الخيط مرة أخرى.. عندما اتصلت « جيهان » بالرقم الذي تركه لها الرجل السويسري.. اكتشفت أنه رقم غير موجود على الاطلاق.. واستفسرت في مصلحة التليفونات التي أفادتها بعدم وجود هذا الرقم اطلاقاً..

سأل ياسر : غريبة، ولماذا فعل الرجل ذلك؟

هند : لقد كان غاية في الدهاء والذكاء.. فهو لم يشأ أن يترك وراءه دليلاً على الاطلاق..

ضحك جاسر في أسى وقال : وهكذا تقطعت كل الخيوط، ولم يبق هناك أمل!

صمتت هند قليلاً.. ثم قالت : متى تقلع الطائرة غداً في طريقها الى سويسرا؟

قال جاسر : في السابعة صباحاً!

هند : حسناً.. سوف أكون هناك منذ الخامسة!

ياسر : لماذا؟

هند : لا أعرف.. ولكن ربما توصلت الى شيء قد يصل بنا الى كشف هذا اللغز الذي لم يسبق له مثيل؟!

ياسر : ومع أنني غير مقتنع بهذا الا أنني سأكون معك طبعاً!

جاسر: ولم لا.. لن نخسر شيئاً..

* * *

وهكذا.. لم ينم الثلاثة الا القليل هذه الليلة.. فقد كان عليهم الخروج من منزلهم في الرابعة فجراً، حتى يصلوا الى مطار القاهرة الدولي في الساعة الخامسة.. ومع أن الفجر لم يكد يظهر بعد،

الا أن الحركة في المطار لم تهدأ.. وأسرع المغامرون الثلاثة في حركتهم.. وتأكدوا أن باب المرور الخاص بركاب الطائرة السويسرية لم يفتح بعد، وقريباً منه انزوى الثلاثة في ركن، يسمح لهم برؤية العابرين جميعاً.. ولكن بغير أن يلتفت اليهم أحد..

ومرت الدقائق ببطء شديد، وفتحت أبواب العبور الى المنطقة الجمركية، وأخذ ركاب الطائرة السويسرية يتجمعون أمام الباب، يزنون الحقائب، ويمرون على رجال الجوازات.. مسافراً وراء الآخر.. ثم مجموعة في رحلة سياحية، ثم بعض رجال الأعمال.. وتجاوزت الساعة السادسة، واقترب وقت الاعلان عن اغلاق أبواب الطائرة.. وبدأ اليأس يطرق أبواب قلوب المغامرين الثلاثة بكل قوة..

فجأة.. توالت الأحداث بسرعة.. فوجئ « جاسر » بـ « هند »، تلتفت اليه وتطلب منه الاسراع بطلب الشرطة، ثم تندفع وهي تطلق صرخات متوالية عالية في اتجاه باب الجوازات، حيث يقف رجل في ثياب بيضاء تشبه ثياب ممرضي أو أطباء المستشفيات الكبيرة، وأمامه مقعد يجر عليه مريضاً ملفوفاً بملاءات بيضاء تغطي جسمه تماماً.. وحتى رأسه كان ملفوفاً بالشاش الطبي..

اندفعت « هند »، تعلقت بمقعد المريض.. وصرخت في الضابط : سيدي الضابط! صدقني.. ان هذا المقعد لا يحمل مريضاً.. ان عليه أطفالاً صغاراً ملفوفين بهذا الشاش..

كانت مفاجأة مذهلة.. نظر اليها ضابط الجوازات غاضباً، كان في يده جواز سفر الرجل المريض.. والذي أجريت له عملية جراحية في رأسه ويجب الاسراع به الى المستشفى الخاص بهذه الجراحات.. ولكن « هند » لم تلتفت الى كلمة مما يقول.. وانما أصرت على موقفها بكل قوة..

وبدا المنظر غريباً.. المريض لا يتحرك في مقعده.. و « هند » تهجم عليه لتزيل الأربطة عن وجهه. والجمهور قد التف حولهم.. والشرطة التي وصلت مع « جاسر » تحيط بالجميع.. وفجأة انتبه رجال الشرطة الى أن الطبيب المرافق، ليس موجوداً.. وأنه قد هرب وسط ضجة الأحداث.. وامتدت يد « هند » في جرأة تزيل الأربطة عن وجه المريض.. واذا بالجمهور يصرخ حولها.. فتحت الأربطة ظهر رأسان لطفلين صغيرين.. كانا صامتين تماماً.. وكأنهما تحت تأثير المخدّر..

وحسم صوت المقدم « عماد » الموقف تماماً.. سحب « هند » من يدها وهو يقول باسماً : الى متى تخالفون الأوامر.. والى متى تنتصرون في النهاية؟

* * *



قالت « هند » وهي تتنهد بعد المجهود الذي بذلته.. وكانوا جميعاً الآن في حجرة ضابط شرطة المطار، والطفلان تحت رعاية الطبيب.

هند : الحمد لله.. أنقذنا طفلين على الأقل! آه، لو صدقتموني منذ البداية، وقبضتم على الطبيب المزيّف!

وجاءها صوت عمها يقول : ومن قال غير ذلك؟ ان البطل الثاني قد أحضره لنا، ولكن بعد معركة سترين أثرها ظاهراً عليه الآن!

ونظرت « هند » الى حيث يشير.. كان « ياسر » قادماً.. ولم تتمالك نفسها فانفجرت ضاحكة وهي ترى « جاسر » يقوده من يده.. وقد تورمت عيناه، وكأنه لا يستطيع أن ينظر بهما، بينما تمزّقت ملابسه تماماً..

وقال المقدم « عماد » وهو ينظر اليهم ممتناً : ان الطبيب المزيّف، وهو في طريقه الآن الى مقر الشرطة الرئيسي، سوف يكون وسيلتنا الى بقية العصابة! وأظن أنه سيعترف الآن بسرعة عن مكان الأطفال جميعاً!

جاسر: رائع.. الآن علينا أن ننتظر حتى يعود الأولاد الى أهلهم!

المقدم عماد : لا.. الآن عليكم أن تعودوا إلى المنزل.. الى

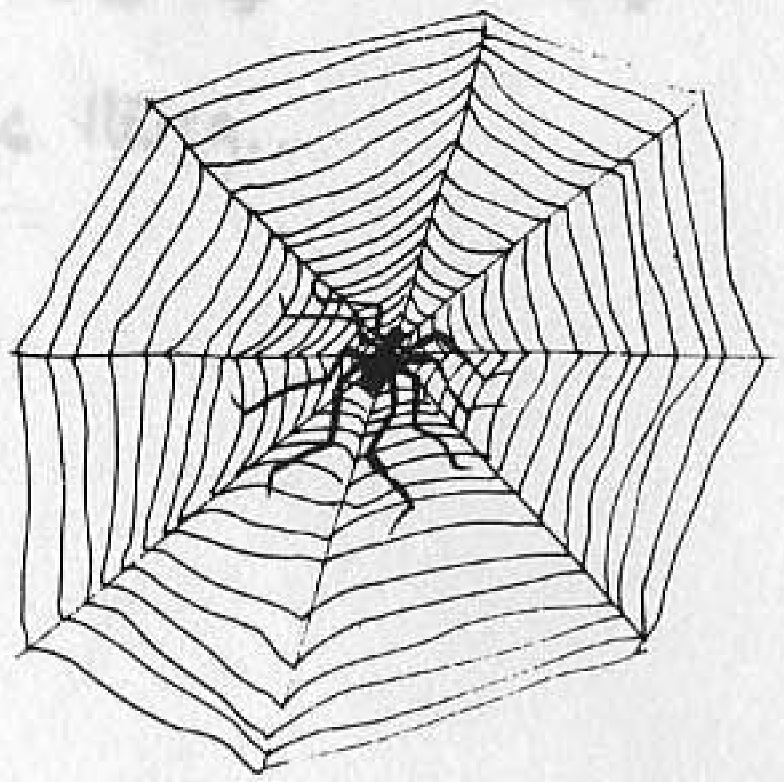
حمام دافئ منعش.. ثم فترة من النوم العميق.. حتى يمكنكم الاستعداد للمغامرة القادمة!

صرخ الثلاثة : المغامرة القادمة؟!

قال عماد بهدوء : طبعاً.. لقد أصبحتم الآن من أشد أعداء العصابات الدولية.. ولقد سبق ان حذرتكم.. ورفضتم التحذير.. فاستعدوا من الآن لما يمكن أن يحدث لكم!

صاح الثلاثة في مرح : مرحباً بالمغامرات.. ويا أهلاً بالمعارك!

* * *



المغامرة القادمة :

سر الرسائل الذهبية

وصل المغامرون الثلاثة الى الكويت.. وواجه « جاسر وياسر وهند »، أكثر المغامرات غموضاً في حياتهم..

مغامرة لها بداية.. ولكن.. ليس لها نهاية.. ولا حل.. ولا دليل..

إنها المغامرة الأولى في البلد العربي الشقيق..

اقرأها في العدد القادم..

هذه المغامرة

تأليف : رجاء عبدالله

سر خيوط العنكبوت

استسلم المغامرون الثلاثة ، جاسر وياسر وهند ، لليأس..

وكانت هذه هي المرة الأولى التي يشعرون فيها بمثل هذا الشعور..

القضية خطيرة.. وغامضة..

والعصابة دولية..

ولكن الخيوط إليها تتقطع كلها في منتصف الطريق..

خيوط واهية مثل خيوط العنكبوت..

هل يعود الأمل الى المغامرين الثلاثة؟!

هذا ما ستعرفه في هذه المغامرة الانسانية، التي لا مثيل لها!

DAR AL JIL EDITEUR DISTRIBUTEUR

دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

مغامرات الجيل البوليسية تصدر شهرياً


T
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net
S